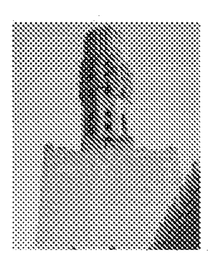
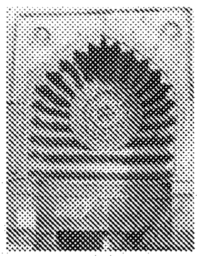
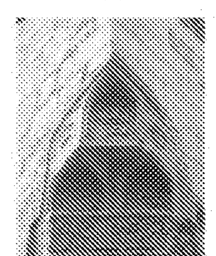


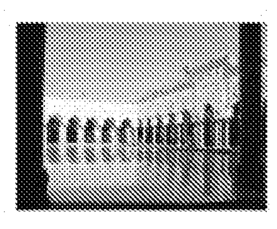
الدولة الفاطمية

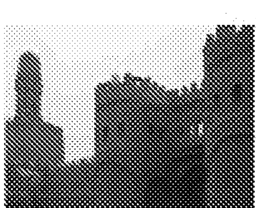
الدعوة والتأسيس

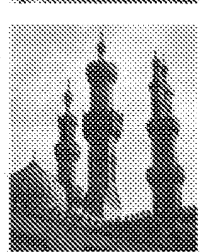


تأليف
الدكتور غزوان مصطفى ياغي









الدولة الفاطمية

الدعوة والتأسيس

تـأليف
الدكتور غزوان مصطفى ياغي

إهداء

إلى كل من علمني حرفاً ...

إلى كل أحبتي ...

الفهرست

المقدمة

لقد أثارت الدولة الفاطمية منذ لحظة إعلان قيامها دون غيرها من الدول التي انفصلت عن جسد الخلافة العباسية موجة هائلة من الكتابات السياسية والدينية، قدمها الكتاب آنذاك سواء كانوا عباسيين الهوى سنيين أو فاطميين شيعيين، وقد طالت هذه الكتابات كل ما يتعلق بهذه الخلافة سواء الدعوة السرية التي سبقت قيامها أو المعتزلة العلنية العسكرية التي تمخض عنها إسقاط دولتين من أكبر دول الشمال الإفريقي آنذاك وهما الدولة الرستمية ١٤٤-٢٩٦هـ/٧٦١-٩٠٨م، والدولة الأغلبية ١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٩م، هذه الفتة التي سبقت وصول عبد الله المهدي سالماً إلى المغرب وإعلان الخلافة في مدينة رقادة من أرض تونس .

وفي الحقيقة لم يتسنى للباحثين حتى الآن الكشف عن مصدر محايد تكلم عن تأسيس هذه الخلافة في مرحلة الدعوة والتأسيس، فكل ما كتب جاء معبراً عن وجهة نظر دينية مذهبية إما معادية أو مناصرة، ومن هنا كان حرصي لاختيار هذا الموضوع الشائك الذي

التف حوله الكثير من السرية والغموض في دورالدعوة السرية والكثير من التحامل والتشويه في دور العلن والــتأسيس، فكانت رغبتي هي محاولة إخراج صياغة النص الجديد لأحداث تأسيس هذه الدولة منذ بداية الدعوة لها حتى لحظة إعلانها في يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٧٩هـ/٩٠٩م، وذلك حصراً من خلال دراستي لأهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن هذه الخلافة، ســاعياً دائمــاً لإثبات حقائقها ناقداً زلاتها ومقارناً لرواياتها حتى أخرج منها بعــد ذلك بالرواية الصحيحة تاريخياً ومنطقياً .

غزوان مصطفى ياغي

القاهرة

الجمعة ١٩٩٨/١/١٥

التمهيد

لقد صمم الشيعة منذ البداية على التمسك بأحقيتهم في قيادة العالم الإسلامي سياسياً ودينياً، واعتبروا ذلك حقاً شرعياً لهم، لابد أن يصلوا إليه .

ولم يترك الشيعة فرصة إلا وحاولوا استغلالها في سبيل ذلك، حتى تعاونوا مع الدعوة العباسية ضد الخلافة الأموية، ولكن عندما استأثر العباسيون بالخلافة دونهم شُحنت كل الشيعة تحدوها مآسيها القديمة في كربلاء وغيرها بطاقة من التصميم والتنظيم، كان لابد أن تثمر مع الأيام عن دويلات شيعية عديدة وخاصة في الأماكن البعيدة عن عاصمة الخلافة العباسية مثل خراسان واليمن والمغرب .

وعملت أغلب الفرق الشيعية بالسر والتستر، وحاولت أثناء ذلك أن تسيطر فكرياً وروحياً على مسارات التفكير في العالم الإسلامي كله آنذاك، وكان للإسماعيليين الذين تمكنوا لاحقاً من تأسيس الخلافة الفاطمية حظ وافر من ذلك .

فعندما انتقل بيت الإمامة إلى منطقة السلمية[1] في آواخـــر النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي على يد الإمام الوفي أحمد [١٧٩-٢١٢هـــــ/٧٩٥-٨٢٧م] وكـــان الفكـــر الإسماعيلي قد تمت له السيطرة على تيارات الفكر الديني والعقلي في العالم الإسلامي، وأصبح قلعة ومدرسة جذبت إليها الأغلبية الساحقة من العقول النيرة آنذاك، فواجهت إيديولوجيتهُ الأيديولوجية الـــسنية

---

[1] - تقع مدينة السلمية اليوم على الطرف الغربي لبادية الشام في سوريا، وإلى الجنوب الشرقي من محافظة حماه بحوالي ٣٥كم، وهذا الموقـــع المتوســـط جعلها مذ وجدت الحضارة في هذه المنطقة عقـــدة للطـــرق العـــسكرية والتجارية، حتى صارت من المحطات الهامة لطريق الحرير، تعبر منها قوافل القادمة مباشرة من بلاد الرافدين، ثم منها تتجه إلى الســـواحل الـــشرقية للبحر الأبيض المتوسط، وقد كانت هذه المدينة في العصر الإسلامي مركز إشعاع سياسي وفكري، فقد كانت مقراً لأكبر تنظيم ديني سياسي عرفـــه التاريخ الإسلامي، بها تركزت الدعوة الفاطمية، وصارت مقـــراً لكبـــار دعاتها الذين يوجهون فرق الدعاة في أرجاء العالم الإسلامي الممتد آنـــذاك من بخارى وسمرقند في ما وراء النهرين شرقاً حتى المحيط الأطلسي غربـــاً، كما كانت هذه المدينة مركزاً لواحدة من أكبر الجماعات والفرق الفكرية في التاريخ الإسلامي وهم جماعة " أخوان الصفا وخلان الوفا " .

العباسية، حتى صار التنافس بين الطرفين أمراً شغل عقول كل علماء ذلك الزمان .

في السلمية تمت عملية تنظيم الدعوة الإسماعيلية من جديد، وفيها بدأ الأئمة يخرجون من تقيتهم وتسترهم؛ ليباشروا بأنفسهم نقل الدعوة النظرية إلى حيز التطبيق العملي، وإنضاج تلك الجهود التي بذلوها ودعاتهم عبر أكثر من مائتي سنة خلت، وفعلاً أتت الجهود أُكُلها في اليمن على يد الداعي ابن حوشب، وفي المغرب العربي على يد الداعي أبو عبد الله الشيعي، حيث أعلنت لأول مرة الخلافة الشيعية الإسماعيلية الفاطمية في مدينة رقادة من أرض أفريقية[1] بسرعة صعقت الخلافة السنية العباسية، التي لم تكن رغم

---

[1] – اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس ....وقال أبو عبيد البكري الأندلسي، حد أفريقية طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الشرق إلى الغرب، فتحها عبد الله بن سعد بن أبي سرج والي مصر زمن عثمان بن عفان سنة ٢٧هـ وصالح أهلها على ألف ألف وخمسمائة ألف وعشرين ألف دينار . انظر:

– ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٩،٢٢٨ .

وقوعها تحت التسلط التركي تتوقع أن يستطيع أحد فعل ذلك، فقد اعتادت من أغلب الدول التي انفصلت عن جسدها منذ أوائل النصف الثاني للقرن الثالث الهجري التاسع الميلادي أن تبقى هذه الدول مرتبطة مع الخلافة في بغداد من حيث وضع اسم الخليفة العباسي على السكة والدعاء له على منابر جوامعها على الأقل[1] .

ولا نجد قبل قيام الخلافة الفاطمية الكثير من الكتابات التي تناولت الشيعة بالتحليل والنقد، وإن وجدت نراها لا تحمل هذه الروح العدائية والكراهية والنقمة التي لا حدود لها، والتي بدأت تحملها بعد قيام الخلافة الفاطمية، حيث أن فشل الخلافة العباسية أمام الخلافة الفاطمية سياسياً، وجه كل اهتمامها لمحاربة هذه الخلافة الناشئة فكرياً وإيديولوجياً، فوجهت كل عقول علمائها وشيوخها لنسف الإيديولوجية الدينية التي قامت عليها هذه الخلافة الجديدة،

---

[1] - مثل الدولة الطولونية التي أسسها أحمد بن طولون في مصر ٢٥٥-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٤م، حيث ورثتها الدولة الإخشيدية ٣٢٣-٣٥٨هـ/٩٣٤-٩٦٩م، التي أسقطها الفاطميون سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م .

وألفت الكتب والمقالات التي تطعن بالنسب الفاطمي والتي تتهم الدعوة الإسماعيلية بالثنوية والزندقة.

وزاد هذه الحملة نجاحاً ما آلت إليه حال الخلافة والعقيدة الفاطمية في مصر من جزر وتراجع سريع ومدهش ثم سقوط الخلافة المفاجئ، وحيث لم تهيأ الأقدار والظروف جملة من المفكرين لينشلوا المذهب من كبوته، فقد تثبتت الأفكار التي نشرها الكتاب السنيون حتى صارت حقائق لا تزال تعشعش في أذهان الكثير من الناس، بل ومن الباحثين حتى يومنا هذا، حتى ليصعب علينا أن نجد في المصادر أي مصدر حيادي استطاع مؤلفه أن يكون موضوعياً في تأليفه، فلم يستطيع أغلب الذين تطرقوا للحديث عن هذه الخلافة أن ينسوا انتمائهم المذهبية .

وعندما قام بعض الكتاب الإسماعيليون بالكتابة عن تاريخ المذهب، وتاريخ الخلافة الإسماعيلية للرد على هجمات بغداد المقذعة، أتت كتاباتهم مغرقة في التقية، غير مصرحة بكثير من الأسماء التي لعبت دوراً كبيراً في المذهب، ونراها مغرقة في الخطابية والألفاظ التمجيدية لأعمال الأئمة وكراماتهم التي لا يرضون حتى مناقشتها للدلالة على القناعة الكاملة بها، حيث لا يرقى إليها الشك، فكان

ذلك رداً على الكتابات السنية العدائية، التي تعتبر أغلبها الخلافة الفاطمية خارجة عن الإسلام تماماً .

وفي الحقيقة لم يتسنى للباحثين حتى الآن الكشف عن مصدر محايد تماماً، وإن قيل خيراً عن ما كتبه الداعي إدريس والمقريزي، فإننا نراهما رغم سعيهما لبعدهما الزمني عن الأحداث الالتزام بمنطقية الباحث وبعقلانية المؤرخ، و لم يستطع الأول منهما أن ينسى إسماعيليته، و لم ينسى الثاني سنيته .

و لم يكن اختياري لهذا الموضوع الشائك إلا رغبة مني بإخراج صياغة نص جديد لأحداث تأسيس الدولة الفاطمية، أناقش وأظهر فيه من خلال دراستي لأربعة مصادر هامة تحدثت عن أخبار التأسيس، ما تتفق وتختلف عليه هذه المصادر الأربعة، وثم أعمل على نقدها حتى أثبت الرواية الصحيحة بينها، وهذه المصادر هي:

أولاً : "رسالة افتتاح الدعوة العبيدية " للقاضي النعمان، وهو مغربي الأصل، وقد عمل بخدمة الخليفة الفاطمي الأول عبدالله المهدي سنة ٣١٣هـ، وترقى في المراتب حتى صار قاضي قضاة الدولة الفاطمية، ومن كبار رجال المذهب الإسماعيلي، وانتهى من

كتابة " رسالة افتتاح الدعوة عام ٣٤٦هـ/٩٥٧م، أي بعد نصف قرن فقط على إعلان قيام الخلافة الفاطمية، واستطاع النعمان من خلال قربه الزمني والمكاني والفكري والمذهبي من الدولة الفاطمية أن يورد في كتابه الذي أوقفه للحديث عن أحداث تأسيس الدولة الفاطمية فقط، كل التفاصيل المتعلقة بأحداث هذا التأسيس بكل دقائقها، فكان بحق مصدراً حقيقياً عن ما كتب، وهذا ما جعله رغم أنه يعبر عن نظرة انتمائية مذهبية المصدر والأصل الذي نقلت عنه المراجع الأخرى لاحقاً .

حتى أن الداعي إدريس في الأسباع الرابع والخامس والسادس (من كتابه عيون الأخبار نقل ما جاء في رسالة الافتتاح، عندما تحدث عن الدعوة العبيدية، غير أن افتتاح الدعوة لم يكن مصدراً لكتاب التاريخ الإسماعيلي وحسب، بل اتخذها المؤرخون الآخرون مصدراً أساسياً لهم على ما يبدو، فمعظم ما جاء في كتاب الكامل لابن الأثير عن قصة الدعوة يمكن تتبع أصوله في رسالة الافتتاح ... وكأنه تلخيص انتقائي للأحداث من مادة القاضي النعمان، وكذلك ابن خلدون في كتابه العبر، فأنه يمثل تتبعاً دقيقاً

مبنيا على الاختصار لتطور الدعوة كما عرضها القاضي النعمـــان في الافتتاح)[1].

ثانياً : الكتـــاب الثـــاني الـــذي اعتمـــدت عليـــه هـــو، "عيون الأخبار وفنون الآثار " للداعي إدريس عماد الـــدين، يقـــع الكتاب في سبعة أجزاء سماها المؤلف أسباعاً، (السبع الأول في سيرة النبي، والسبعان الثاني والثالث في سيرة علي بن أبي طالب وحروبه، والأسباع الرابع والخامس والسادس في ذكر أمر الخلافة الفاطميـــة، وقد نشرها الدكتور مصطفى غالب نشراً غير جيد، والسبع السابع يعرض لخلافة المستنصر والمستعلي والآمر، واستتار الطيب، ثم الدعوة الصليحية، والدعوة المستعلية الطيبة باليمن .

وقيمة الكتاب تتمثل فيما يخص تاريخ المغرب أي الأســباع الرابع والخامس والسادس، وفيما ينقله المؤلف عن مصادر مفقودة لا

(1) – القاضي النعمان بن محمد ت٣٦٣هـــ/٩٧٣م، رسالة افتتاح الدعوة العبيديـــة، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنـــان، ١٩٧٠، المقدمـــة ص٢٣ .

نستبعد أن تكون سنية أوعلى الأقل معتدلة في تشيعها إن كانت شيعية)[١] .

والداعي إدريس المؤلف هو داعي يمني تقلد رتبة الداعي المطلق في الدعوة الفاطمية في فترتها اليمنية، بعد انقراض الدولة في مصر سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، وتولى زعامة المذهب خلال ٨٣٢-٨٧٢هـ/ ١٤٢٨-١٤٦٨م، فهو متأخر بالنظر للفترة التي يؤرخ لها فلا غرابة أنه ينقل صراحة حرفياً أو تصرفاً عن مصادر فاطمية قديمة، من شائع معروف كرسالة استتار الإمام، وسيرة جعفر الحاجب، وسيرة جوذر الأستاذ، وافتتاح الدعوة، والمجالس والمسايرات، أو مخزون مجهول كتاريخ القاضي النعمان الذي سماه أخبار الدولة، وربما نقل أيضاً عن مصادر مفقودة كأحد التواريخ المغربية التي تنسب إلى الرقيق القيرواني، وابن الجزار الطبيب، وابن شداد الصنهاجي[٢] .

---

[١]- الداعي إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ-١٤٨٨م، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، المقدمة ص١٧ .

[٢]- المصدر نفسه، ص١٥ .

وهنا تكمن قيمة الكتاب وقيمة مؤرخه، فرغم البعد الزمني الذي يفصل بين المؤلف الذي ولد سنة ٧٩٤هـ-١٣٩٢م وبين الأحداث التي يؤرخ لها فإن إصراره رغم بعده الزمني على أن يرد الماء من النبع أي النقل من المصادر الأصلية والأساسية المتنوعة جعل كتابه يبدو وكأنه مصدر جيد رتق ثغرة البعد الزمني، وقلل من أهمية البعد المكاني أيضاً .

وقد أتى الكتاب كبيراً، شاملاً، موسعاً، واضحاً على الأغلب، رغم طغيان اللهجة الخطابة، والتنميقات الكتابية، والنفس الملحمي على بعض نصوصه .

وقد كان اعتمادنا على الكتاب الذي نشره محمد اليعلاوي بعنوان الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخاص من عيون الأخبار، ويضم أغلب السبعين الخامس والسادس أي كل ما يتعلق بأحداث التأسيس حتى نهاية الدور المصري الأول ٣٨١هـ-٩٩١م تقريباً .

ثالثاً : إجمالاً فقد كان الكتابان السابقان يمثلان وجهة النظر الإسماعيلية، وإزاء هذا كان لابد لنا أن نغني عملنا بإشراك مصدر ثالث يمثل وجهة النظر السنية، فكان اختياري لكتاب اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، للمقريزي تمثيلاً لذلك .

والمقريزي هو تقي الدين أحمد بن علي، ولد في القاهرة سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٤م، وتوفي بها ٨٤٥هـ/١٤٤١م، من أسرة تنتمي بالأصل إلى بلدة بعلبك اللبنانية، نشأ المقريزي في كنف جده لأمه ويعرف بابن الصائغ، وكان من علماء الحنفية، لهذا تأثر الحفيد بالجد فكان حنفياً حتى غدا شاباً، فتحول إلى المذهب الشافعي ... وكان المقريزي غزير الإنتاج وخاصة في ميادين التاريخ، وهو قد عاصر ابن خلدون وتأثر به كثيراً أثناء إقامته في القاهرة، وكان بينهم وشائج من القربى[١] .

ويعتبر اتعاظ الحنفا من خيرة المصادر أو المراجع التي تحدثت عن تاريخ الفاطميين، بسبب ما يحويه من مادة جيدة وأن كانت مختصرة في كثير من الأحيان، ثم لاتسام هذه المادة بسمة الحياد، حيث أن المقريزي لم يؤلف كتابه كما يفعل الكثير من المؤلفين الآخرين ليخدم به خزانة ملك من الملوك، وإنما هو قد ألفه ليشبع

---

[١] - عدد من المصنفين، أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن، جمع وتحقيق د. سهيل زكار، طبع دار حسان، د.م، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨١، المقدمة ص٧١-٧٢ . وسوف نرمز للكتاب لاحقاً ب " أخبار القرامطة " فقط .

عاطفته الوطنية كما قال في مقدمة كتـــابه، (أحببت أن أضع لمـــن ملك القاهرة من الخلفاء ديواناً يشتمل على جمل خبرهم، ويعـــرب عن كثر سيرهم، فجمعت هذا الكتاب)[١] .

وقصد المقريزي هذا جعله ينأى عن الوقوع تحت تأثير الهوى والتعصب المذهبي والانقياد وراء النزعات السياسية لإرضاء أميراً أو خليفةً، وبذلك كان من بين المؤرخين السنيين القلائل الذين أيـــدوا النسب الفاطمي، ومرد ذلك برأي هو التأثير الكبير للمقريزي بـــابن خلدون وخاصة بالعمـــل على تطبيق عمليات النقـــد التـــاريخي، وتوخي المنطقية الواقعية، والبعد عن الهوى والتعصب الذي نهى ابن خلدون المؤرخ عنه بشدة، فكان ابن خلدون قبل المقريزي قد أوضح النسب الفاطمي وأثبته .

ويعيب الكتاب سمتين فقط هما النقل والاختصار، حيث قال الدكتور جمال الشـــيال في تقديمه لكتاب الاتعاظ، (وقد لاحظت أن المقريزي في هذا الجزء الذي وصلنا من اتعاظ الحنفا، قـــد اعتمـــد

---

[١]– المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـ/١٤٤١م، اتعاظ الحنفـــا بأخبـــار الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ص٣ .

اعتماداً كبيراً على ابن الأثير، مما يرجح أنه كان ينقل عنه مع تصرف يسير، أو أن المؤرخين كانا ينقلان عن أصل واحد لا نعرفه، وكون كاتب الاتعاظ قد طبع عام ١٩٤٨ لأول مرة، أي قبل اكتشاف ثم صدور كتاب رسالة الافتتاح ١٩٧٠، فإني أرجح أن ابن الأثير كـــان ينقل عن الرسالة حتى يتبدى للمقارن بين كتاب ابن الأثـــير وبـــين كتاب المقريزي، ثم بين كتاب القاضي النعمان، أن النصين الأولين لا يختلفان عن نص النعمان إلا في التصرف والإيجـــاز والتـــــأخير أو التقديم حيناً، وحذف بعض الفقرات أو العناوين حيناً آخر، وتلاحظ ذلك بشـــكل أكبر عند المقريزي، وعلى العموم إن كتاب الاتعاظ قد (اعتبر فيما مضى ومازال يعتـــبر من أفضـــل مصادر التـــاريخ الفاطمي)[1] .

رابعاً : والكتاب الرابع الذي اعتمدت عليه بشكل أقل من اعتمادي على المصادر الثلاثة الأولى هو كتاب " أخبار القرامطـــة في الإحساء والشام والعراق واليمن "، لعدد من المصنفين، جمع وتحقيق الدكتور سهيل زكار .

---

[1] – أخبار القرامطة، المقدمة ص ٧٣ .

وهذا الكتاب في الأصل موظف للحديث عن القرامطة، أصلهم وأخبارهم، ولكن ليس بالأسلوب العادي المتبع بين جملة المؤرخين، حيث يأخذ الواحد منهم عنواناً ويؤلف من ذاته ومن ما يجمعه من آراء الآخرين حوله كتاباً ينشره، بل جاء الكتاب مقدماً بأسلوب جديد كل الجدة، فهوكما يقول عنه جامعه ومحققه د.سهيل زكار (عرض أخبار القرامطة عن طريق النصوص، وهي أحدث طرائق العرض التاريخي، ذلك أنها وثائقية، لا يتدخل فيها الكاتب أو الباحث في توجيه القارئ، وانتقاص حريته في الاستنتاج والفهم...، إن النصوص المقدمة في كتابنا هذا بمجملها تقدم للقارئ صورة متكاملة لتاريخ القرامطة في جميع المناطق وكافة المراحل، وهي تحوي زبدة ما جاء في المصادر العربية)[1].

وفعلاً فقد جاء الكتاب كبيراً وجامعاً، غنياً، نقية نصوصه من أي تصحيف أو لبس، ولما كان لا يمكن لأي متحدث أوكاتب عن الحركة القرمطية إلا أن يعرج على ذكر الدعوة الإسماعيلية، وذلك لما بين الطرفين من علاقة عضوية أساسية من حيث البداية

---

[1] – أخبار القرامطة، المقدمة ص٤٧ .

والمنشأ، هذه العلاقة التي تبرأ منها فيما بعد أصحاب الدعوة الإسماعيلية حتى وصفوا صاحبها باللعين .

ولما كان ذلك فقد كانت بعض النصوص الأصلية التي أوردت في الكتاب تتحدث من خلال حديثها عن الحركة القرمطية وأعمالها، عن الدعوة الإسماعيلية، وأخبار أئمتها، وجملة أفعالهم وسيرهم، وما كان منهم ومن دعاتهم حتى تأسيسهم للخلافة الفاطمية في المغرب .

ومن أول النصوص التي وجدنا فيها مثل هذا الحديث واستفدنا منه في بحثنا، النص الثالث من الكتاب (وهو عبارة عن مذكرات أملاها أو كتبها أحد رجالات البلاط الفاطمي، أيام المعز لدين الله [٣٤٠-٣٦٥هـ/٩٥١-٩٧٥م] وكان اسمه أحمد بن إبراهيم النيسابوري، ويبدو أنه احتل مكانة رفيعة في قصر المعز، وكان واسع الإطلاع على أخبار الدعوة الفاطمية، ولربما شارك في العديد من أحداثها المبكرة)[1] واسم هذا الكتاب " استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبة " .

---

[1] – أخبار القرامطة، المقدمة ص٥٤ .

واستفدت من النص الرابع من الكتاب " التراتيب " وهـــو مجهول المؤلف (لكن يبدو أن تاريخ التصنيف مبكر، وربما يعـــود إلى ما قبل قيام الخلافة الفاطمية أو معاصر لها)[1] .

واعتمدت بشكل غير مباشر على الـــنص الخـــامس مـــن الكتاب، وهو نص منتزع من كتاب " تثبيت دلائل نبـــوة ســـيدنا محمد" لقاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني، الفقيه المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥هـــ/١٠٢٤م، وقد أتى النص المنتزع شديد اللهجـــة، كـــثير المغالاة والتعصب للإسلام عامة وللمذهب السني خاصة، وأتى مـــا فيه متمثلاً بشكل شديد لموقف السنة من الدعوة الإسماعيلية والخلافة الفاطمية في مطلع القرن الخامس الهجري الذي شهد بداية التراجـــع والجزر في الدعوة والدولة الإسماعيلية الفاطمية، وعموماً فقد كـــان هذا النص موظفاً في قسمه الأكبر للحديث عن أخبار القرامطـــة في العراق والبحرين وبلاد الشام، ورغم ما رأيته من ســـعي الهمـــذاني للربط والخلط بين القرامطة وبين أصحاب الدعوة الإسماعيلية، فهـــو أيضاً دائم السعي لتوحيد أهداف الطرفين ويتهمهما معـــاً بالتـــستر تحت غطاء الدعوة لآل البيت، والانتساب للشيعة لأجـــل تحقيـــق

[1] – أخبار القرامطة، المقدمة، ص٥٥ .

مآرهم الشخصية، وطموحاتهم السياسية، وبالتالي عمل على إظهار مروق وزندقة كل الأطراف، أكان أبي سعيد الجنابي وأبي طـــاهر في العراق والإحساء، أوابن حوشب وعلي بن الفضل في الـــيمن، وأبي عبد الله الشيعي وعبد الله المهدي في المغرب، وقرر أخيراً سب وشتم الجميع لأنهم على حد قوله جميعاً قد سبوا الـــنبي (ص)، وعطلـــوا الشرائع وحللوا المحرمات .

وإزاء كل هذا التشدد، وقلة المعلومات الواردة في هذا النص عن أخبار تأسيس الدولة الفاطمية، فقد قلَّتْ استفادتي مـــن هـــذا النص، كما انحصرت استفادتي من النصوص الأخرى بمعلومات قليلة متناثرة بين نصوص الكتاب المتبقية، مثل النص الحادي عشر المنتـــزع من كتاب " نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب "، لأحمد بن عبـــد الوهاب النويري توفي سنة ٧٧٢هـــ/١٣٧٠م، والنص الثالث عشر من كتاب " العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك "، تصنيف علي بن الحسن الخزرجي المتوفي في سنة ٨١٢هـــ/١٤٠٩م، وقـــد أرخ به لليمن منذ ما قبل الإسلام وحتى أيامه .

هذه هي المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها، وآمـــل أن أكون قد وفقت في اختياري لها، وفي عملي الآتي بها، حتى أحقق ما

تمنيت من إخراج صياغة نص جديد لأحداث تأسيس الدولة الفاطمية، يكون نصاً سليماً تاريخياً ومنطقياً ومنهجياً .

وأخيراً قد يكون من المناسب أن نقدم استعراضاً سريعاً لبعض أهم المصادر التاريخية التي تناولت الحديث عن تأسيس الدولة الفاطمية بالجملة والتفصيل .

١- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٨م)، الكامل في التاريخ، طبع دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م،١٣ج،ج١ .

٢- ابن خالكان، (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، طبع دار صادر، لبنان، بيروت، د.ت،٥ج، ج٢ - رقم الترجمة ١٩٩، ج٣- رقم الترجمة ٣٥٧ ، ج٥ - رقم الترجمة ٦٨٥ .

٣- ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحادة، طبع دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ٧ج، ج٤، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٤- ابن عذاري، (ت آخر ق ٧هـ-١٣م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق روفنسال دكولات، طبع دار الثقافة، لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٣، ٤ج،ج١ .

٥- الجوذري، سيرة الأستاذ جوذر(غير معروف)، تحقيق محمد كامل حسين ومحمود عبد الهادي شعيرة، د.د، القاهرة، د.ت .

٦- الداعي إدريس، (ت سنة ٨٧٢هـ/١٤٨٨م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥ .

٧- الدوداري، (توفي بعد ٧٧٤هـ/١٣٣٤م)، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبع ونشر المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ١٩٦٠ .

٨- القاضي النعمان، (ت ٣٦٣هـ/٩٧٣م)، رسالة افتتاح الدعوة العبيدية، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة،بيروت، لبنان، ١٩٧٠ .

٩- المقريزي، (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الشيال، ط٢، طبع ونشر دار الفكر العربي، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ .

١٠- المقريزي،كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، تراجم مختارة، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

١١- المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار " الخطط المقريزية "، طبع بيروت، دار صادر، أوفست، ٢ج،ج١ .

١٢- النويري، (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسن نصار، القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٢٤ .

١٣- اليماني (محمد بن محمد)، (ت ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، سيرة جعفر الحاجب، نشر إيفانوف، مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية، مج٤، ج٢، ديسمبر ١٩٣٦.

الفصل الأول

أخبار أبو عبد الله الشيعي وعمله

في تأسيس الدولة الفاطمية

وبداية لابد لنا من ذكر شيء عن دعوة اليمن لأنها كانت الأصل الذي نبعت منه دعوة المغرب التي تكشفت عن إعلان قيام الخلافة الفاطمية في إفريقيا أو ما يسمى اليوم بتونس .

وصاحب دعوة اليمن هو أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي[1]، وسمي بمنصور اليمن لما أتيح له من النصر[2]، ويرد اسمه عند المقريزي رستم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار[3]، ويقول الداعي إدريس أنه أبو القاسم حسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي المعروف بمنصور اليمن بن الفرج صاحب دعوة اليمن وهو من ذرية مسلم بن

---

[1] – وقد ولد ابن حوشب سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، وتوفي ٣٠٣هـ/٩١٥م .

[2] – النعمان بن محمد ت٣٦٣هـ/٩٧٣م، رسالة افتتاح الدعوة العبيدية، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠، ص٣٢ .

[3] – المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـ/١٤٤١م، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ص٧٤ .

عقيل بن أبي طالب[1]، بينما يذكر النويري أنه الحسن بن حوشب الكوفي النجار[2]، ويقول الجزري أنه منصور بن حسن[3].

وقد كان ابن حوشب في البداية اثني عشري المذهب حتى كان لقاؤه مع إمام الزمان الذي لا يذكر القاضي النعمان اسمه مطلقاً[4]، بينما يقول المقريزي هو والد الإمام عبد الله المهدي وهو الرابع من الأئمة المستورين، ويقول أنه محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق[5] .

والصحيح في اسم ابن حوشب هو ما ورد عند النعمان وإدريس اللذان يتفقان على نفس الاسم، كما ويتفقان على أن

---

(1) – إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ-١٤٨٨م، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص٥٩ .

(2) – أخبار القرامطة، ص٣١١ .

(3) – المصدر نفسه، ص٤١٥ .

(4) – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٣٦-٣٧ .

(5) – المقريزي اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٦٨ .

علي بن الفضل[1] سار بأمر الإمام مع أبا القاسم ابن حوشب حتى بلغا اليمن سنة ثماني وستين ومائتين[2] فأقاما باليمن سنتين يدعوان مستترين، حتى ظهرت الدعوة باليمن علناً سنة سبعين ومائتين، فلما تمكنت الدعوة باليمن وظهر أمرها أرسل الإمام أبا عبد الله إلى أبي القاسم داعي اليمن يكتب إليه في أن يبصره ويرشده ويلقنه، وكان أبو عبد الله هذا من الكوفة واسمه الحسين أحمد بن محمد بن زكريا[3] ويؤكد المقريزي في الاتعاظ أن أصله من الكوفة، وكان

---

[1] - علي بن الفضل هو من أهل اليمن، خرج حاجاً إلى مكة سنة ٢٦٦هـ/٨٧٩م، ثم خرج لزيارة قبر الحسين في العراق، حيث أظهر الحزن والإيمان والفضل، فخلا به أحد أفراد دعاة الإمام، وفتح له شيئاً من العلم حتى تعلق علي به، حتى أخذ عليه الداعي عهداً وأوصله إلى الإمام، الذي يذكر المقريزي فقط أن هذا الإمام هو جعفر بن محمد، وقد توفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م .

- النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٤٤ .
- المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٦٧ .

[2] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٣٨-٤٠ .

- المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٦٨ .
- ادريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٦١ .
- أخبار القرامطة، ص٧٢ .

[3] - لا يوجد عند المؤرخين خلاف حول هذا الاسم . أنظر :

يعلم الناس مذهب الإمامية الباطنية، واتصل بالإمام ورأى أهليته فأرسله إلى ابن حوشب صاحب اليمن[1]، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة[2]، وكان له علم وفهم ودهاء ومكر[3]، وأكثر علمه كان بالباطن، ونظر في علم الظاهر نظراً لم يبالغ فيه .

وانتهى أبو عبد الله الشيعي والذي لقب "بالداعي" لاحقاً إلى أبي القاسم صاحب دعوة اليمن، فأنزله عنده، وقرب مجلسه، وأدنى مكانة، ورفع من قدره، وقد كان يعرفه، وأقام عنده في وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم إلى الحج في العام المقبل، يشهد مجالسه ويخرج معه في غزواته لا يفارقه، فلما حضر وقت خروج أهل اليمن إلى مكة للحج خرج أبو عبدالله معهم إلى مكة، وأخرج أبوالقاسم معه من قِبَلِه رجلاً أصحبه إياه وآزره به بحسب ما جرت به السيرة في الدعاة، وبحسب ما كان معه علي بن

- النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٥٩ .
- المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٤ .
- ادريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٧٢ .

[1] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٦٨ .

[2] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٥٩ .

[3] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٤ .

الفضل، لئلا يحدث به حدث فيكون معه من يخلفه إلى أن يأتي أمــر الإمام عليه السلام، وكان الذي أخرجه معه رجل يقال له عبــد الله بن أبي الملاحف، ثم بدله بإبراهيم بن إسحاق الزبيدي اليمني[1] .

ويقول المقريزي فلما ورد على ابن حوشب موت الحلواني ورفيقه بالمغرب، قال لأبي عبد الله الشيعي " إن أرض كتامــة مــن المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان[2]، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك " فخرج أبو عبد الله إلى مكــة، وقــد أعطاه ابن حوشب مالاً، فلما قدم مكة سأل عن حجــاج كتامــة فأرشد إليهم، واجتمع بهم، و لم يعرفهم قصده[3].

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٦٠ .

[2] – وكان قد أرسلهما الإمام جعفر الصادق سنة ١٤٥هـ/٧٦٢، إلى المغرب، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد (ص)، وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر، ثم يفترقان فيترل كل واحد منهما في ناحية، وكان ذلك حتى ماتا، فكان بين دخولهما المغرب ودخول أبي عبد الله الشيعي مائة وخمس وثلاثون سنة . انظر
– المصدر نفسه، ص٥٤ .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٤-٧٥ .

ونلاحظ هنا أن المقريزي لا يورد شيئاً عن عبد الله بن الملاحف، بل يغفله تماماً، كما يغفل ذكر إبراهيم، بينما تتفق رواية النعمان تماماً مع ما يورده إدريس في عيون الأخبار .

وبعد ذلك يسهب النعمان في ذكر كيفية اجتماع أبي عبد الله بالكتاميين، وفي طريقته حتى تعلقوا به، وخاصة عندما علموا أن وجهته لمصر، وكيف صار أمره يعظم عندهم، ومالت إليه قلوبهم حتى اجتمع إليه كل من كان حاجاً ذلك العام من كتامة، وكيف صاروا يمشون معه، إذا مشي، وينزلون إذا نزل، وهم يخدمونه ويعظمونه، وهو في كل هذا يسألهم عن بلدهم، وأحوال أهله فيخبرونه بما يرى أنه موضع لما يريده، وقد عدد النعمان الكثير من الأسئلة التي سألهم إياها[1] .

بينما لا نجد مثل ذلك عند المقريزي الذي يختصر كل هذا الكلام بعدة أسطر، فيقول : (وذلك أن جلس قريباً منهم فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت، فاستحسن ذلك وحدثهم في معناه، فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته، فأذن لهم وسألوه : أين قصدك ؟ فقال : مصر، ففرحوا بصحبته، فرحلوا وهو لا يخبرهم

[1] – انظر النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٦٢-٦٦ .

بغرضه، وأظهر لهم العبادة والزهد، فازدادوا فيه رغبة وخدموه، وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان إفريقية، فقالوا : ماله علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة أيام، قال : أفتحملون السلاح، فقالوا : هو شغلتنا)[1]، ويبرز هنا شدة تصرف المقريزي في روايات النعمان، ويتفق المقريزي مع إدريس هنا في هذا[2] .

وظل هكذا حتى إذا صاروا في مصر أظهر لهم أنه يريد المقام فيها، فأظهروا الغمة لفراقه، وقالوا : ما يقيمك هاهنا، وما نرى معك من تجارة ولا هو بلدك ؟ قال : أطلب التعليم فابتهجوا لذلك، وقالوا: ما نرى أنك تجد بلداً أجرى عليك في التعليم من بلدنا، وجعلوا يخبرونه بنَفَاق ذلك عندهم، وتعظيم أهل بلدهم للمتعلمين فيهم[3]... وجعلوا يزيدون في الرغبة إليه ويقولون عندنا كثير من إخوانك ممن يذهب إلى ما أنت عليه، فلو رأوك الناس ما رضوك إلا

---

(1) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٥٧ .

(2) – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٨٤ .

(3) – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٦٦ .

– إدريس عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٨٥ .

– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٥ .

لشيوخهم دون صبيانهم، وليس مثلك نخليه لتعليم صبيان، وما تريده لوجه التعليم فأنت تجد أضعافه في أموالنا، فأسمعهم خيراً[1]، حتى أجابهم إلى المسير معهم فسروا بذلك سروراً عظيماً[2].

وقد اختصر المقريزي كل هذه بعبارة (و لم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم، فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره، فرغبوا في نزوله عندهم، واقترعوا فيمن يضيفه منهم)[3] .

ويقول النعمان بتفصيل أكبر (فكانت طريقهم من طرابلس[4] إلى قسطنطينة[5] لأنها الجادة فلم يدخلوا أفريقية حتى إذا صاروا إلى سوجمار[6]من أرض سماته فتلقاهم أهل الموضع فأنزلوهم عندهم، ولقي حريثاً وموسى، وأبو المفتش وأبو القاسم الورفجومي،

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٦٧ .

[2] – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٥ .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٥ .

[4] – هي طرابلس الغرب الواقعة اليوم بأرض ليبيا .

[5] – هي اليوم مدينة قسنطينة من أشهر مدن الجزائر بالناحية الشرقية، وقد عرفت قديما بسيرتا أو قيرنا .

[6] – سوجمار هي بلاد غير بعيدة عن قسطنية على وادي الرمال .

وأبو عبد الله الأندلسي، وكان هؤلاء شـيعة، فلقـوا صـاحبيهم فأخبراهم بخبر أبي عبد الله، فنظر السماتيون إلى تعظـيم الكتـاميين بجامعتهم له، فرغب كل واحد منهم في أن يكون نزوله عنده حـتى رموا عليه السهام، فخرج له سهم أبي عبد الله الأندلسي فنزل عنده [1]، ويتابع النعمان ذكر كيف أن أبي عبد الله الأندلسي قد شك بأبي عبد الله وألح عليه حتى صارحه الداعي وأخذ منه العهد، ثم سار هو وصاحبه معه وبرفقتهم الكتاميين[2].

وتجدر الملاحظة هنا أن المقريزي لا يذكر خبر نزول الداعي عند السماتيون، بل يشير إلى اقتراع بعض الشيعة في نزوله عندهم في الطريق إلى أرض كتامة[3].

وساروا حتى دخلوا أرض كتامة يوم الخميس للنصف مـن شهر ربيع الأول سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م، ويذكر المقريزي أن ذلـك

---

[1] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٦٨ .
- إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٧٦ .

[2] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ٦٩-٧١ .
- إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٨٧ .

[3] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٦ .

كان سنة ثمان وثمانين ومائتين [1]، وهو ينفرد بذلك تماماً، وهذا خطأ، فإذا قلنا أن خروج الحلواني وأبو سفيان إلى المغرب كان سنة ١٤٥هـ، وإذا اتفقنا أن بين دخولهما للمغرب وبين دخول الداعي ١٣٥ سنة فيكون الداعي قد دخل المغرب سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م .

وبعد هذا الخلاف تصبح المصادر الثلاثة متفقة على الخلاف بين أفراد كتامة على من يكسب شرف نزول الداعي عنده، حتى اختار هو النزول في فج الأخيار بعد أن سأل عنه دون أن يذكروه له مما أثار استغرابهم، وفي الفج كان بني سكنان[2] فنزل عندهم على أن يزور كل قوم من كتامة في بيوتهم وأرضى بذلك الجميع[3].

ونزل الداعي أبوعبد الله بإيكجان[4]، فأقام به حتى ضجت أرض كتامة بسيرته، وقدمت إليه الوفود (فكان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى الأئمة من

---

[1] – المصدر نفسه، ص٧٦ .

[2] – هم قسم من قبيلة جميلة الكتامية البربرية المعروفة بالشجاعة والكرم .

[3] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق،ص٧٢ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٨٨ .
– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٦ .

[4] – هو جبل يقع بالقرب من مدينة قسنطينة .

ولده عليهم السلام، فإذا رأى الواحد منهم بعد الواحد قد تيقن منه وأحس فيه مايريده ألقى إليه شيئاً بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليـــه، وأخذ قبل ذلك على أبي القاســـم الورفجـــومي وعلـــى حريـــث وموسى[1].

وزاد أمر أبو عبد الله شهرة وعم أمره بعد ذلك على اتفاق مصادرنا الثلاثة (النعمان-المقريـــزي- إدريـــس) ولكـــن ينفـــرد النعمـــان وإدريس في ذكر أن الداعي أبي عبـــد الله الـــشيعي قـــد عرضت له علة في حصاة كانت تعتريه فخرج إلى حمـــام ميلـــه[2] للتداوي، حيث حاول صاحب ميلة موسى بن عياش أن يقبض عليه ليستوضح أمره ولكن الداعي هرب وعاد إلى إيكجان، فذكر طلب صاحب ميله له وهذا زاد في شهرته[3].

---

[1] - النعمان، رسالة افتتاحج الدعوة، المصدر السابق، ص٧٣ .
- إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٨٩ .
[2] - مدينة تقع جنوب قسنطينة غير بعيدة عنها، وتسمى اليوم عين مليلة .
[3] - النعمان، رسالى افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٧٥ .
- إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٩٠-٩١ .

ويقول النعمان وإدريس بأن أبي عبد الله عُرِفَ وشهر أمره بالمشرقي، وقد نسب إليه من دخل في أمره، فقيل أنـــه مـــشرقي، وسمي أتباعه بالمشارقة، واتصفوا بالإقبال علـــى الـــصلاة والـــصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي، وكان عددهم في تزايـــد مستمر[1]،

وفيما يذكر كل من المصدرين أن موسى بن عياش صاحب ميله أرسل إلى بني سكتان لكي يرسلوا له الداعي ليناـــظره ويختـــبر أمره، لكن بني سكتان رفضوا ذلك نهائياً[2]، فإن المقريزي يذكر أن شيوخ البربر هم الذين أرادوا مناظرته ثم قتله، فمنعه الكتاميون مـــن المناظرة، بل يضيف المقريزي أيضاً أن أبو عبد الله سلم مـــن القتـــل مراراً[3].

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٧٦ .
– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٩٤ .
[2] – النعمان، افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٧٧ .
– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٩٥ .
[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٧ .

وتتفــق هذه المصادر الثلاثة على أن إبراهيم الثاني[1] (قد أرسل إلى صاحب ميله يستفسر عن هذا المشرقي، ولكن موسى بن عياش صغر أمر الداعي أمام إبراهيم الثاني)[2]، ويفـسر النعمـان وإدريـس ذلك بخوف موسـى من قدوم إبراهيم الثاني إلى ميلـه، فيوقع به أو يعزله لأنه لم يكن يثق به[3].

لكن إبراهيم الثاني فطن لفعل موسى بن عياش، كما يـورد النعمان وإدريس، فأرسل لأبي عبد الله الشيعي رسالة فيها ترهيـب وترغيب له، ودعوة للإقلاع عن ما هو به من إفساد النـاس ضـد الدولة، فـرد أبي عبد الله عليه برسالة يظهر فيها عدم خوفه، لأنـه بُعِثَ لأمر همَّ وقَرُبَ، وانتحاز لوعد من الله سبق، والله لا يخلـف الميعاد ودعاه في النهاية إلى الدخول في الدعوة، وقد أثبت كل مـن النعمان وإدريس رسالة إبراهيم الثاني وجواب الداعي أبي عبـد الله

---

[1] – هو إبراهيم الثاني بن أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب إفريقية، وحكم ٢٦٢-٢٩٠هـ/٨٧٥-٩٠٢م .

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٧ .

[3] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٧٨ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٩٢ .

عليها[1]، بينما أهمل المقريزي أي ذكر للرسالتين، بل قال : فصفره عنده ... فسكت عنه[2] .

ونلاحظ أن نص الرسالتين وردتا عند النعمـــان وإدريـــس بشكل متشابه، مما يؤكد نقل إدريس النصين عن القاضي النعمـــان، ولكنه تصرف في بعض العبارات البسيطة دون تغيير في المعنى .

وتتفـــق روايات النعمان وإدريس تماماً بعد ذلك في حديثها عن تحرك زعماء البربر ضد الداعي الشيعي لخوفهم من أفول نجمهم، فسعوا لدى شيخ بني سكتان" بيان بن صقلان" لإخراج أبي عبـــد الله الـــشيعي من بين أظهر قومه كـــي يتسنى لهم قتله، حتى أقنعوه بعد تردد أن يتحدث بضرورة إخراجه[3]، فلم يوافق بـــني ســـكتان

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٧٨-٨١ .
– إدريس، المصدر السابق، ص٩٢-٩٤ .

[2] – المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـ/١٤٤١م، اتعـــاظ الحنفـــا بأخبار الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ص٧٧ .

[3] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٩٣-٩٩ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٧٨ . بينمـــا لا نجـــد عـــن المقريزي إلا تلميحاً صغيراً لمثل هذا، ص٧٨ .

بإيكجان على ذلك لكن أبي عبد الله الشيعي قبل عرض الحسن بن هارون الغشيمي من بني غشمان[1]، بأن يترك بني سكتان ويرحل لضيافته في تازروت، ورحل فعلاً من إيكجان إلى تازروت، حيث نزل عند الحسن بن هارون الغشيمي، وفيها علا ذكره، وفشا خبره، وتقاطلات لوفود إليه داخلة في دعوته، معاهدة إياه على نصرته[2] .

ويتفق النعمان وإدريس في ذكر خبر عودة زعماء كتامة للإيقاع بأبي عبد الله باستمالتهم لمحمود بن هارون الغشيمي أخ الحسن زعيم بني غشمان، كي ينظم مناظرة مزعومة مع الداعي يقتلونه فيها، لكن محمود ينقلب على المتآمرين لملاطفة الداعي وغشمان له، فيقاتل المتآمرين حتى يقتل[3] .

ونجد النعمان يسهب في الكلام عن زحف جميع القبائل المغربية غير الداخلة في الدعوة إلى مدينة تازروت، يريدون قتل

---

[1] – هم قبيلة من قبائل كتامة .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق،ص ٩٩-١٠٢ .

– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٩٧-٩٨ .

– المقريزي اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٨ .

[3] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٠٢-١٠٨ .

– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص٩٨-١٠٠ .

الداعي حيث يحاصرون المدينة، ويرفض الداعي طلب الأولياء منه بالهروب بنفسه، بل يعمد إلى تنظيم الجيش الشيعي من جموع الأولياء لقتال المتآمرين الذين يرفضون الصلح فيهزمهم الجيش الشيعي الجديد شر هزيمة[١] .

ويذكر إدريس نفس الأحداث دون أي خلاف مع القاضي، لكن ليس بنفس التفاصيل الواردة عند النعمان[٢] .

بينما يغفل المقريزي كل هذه الأحداث، ويكتفي بالقول : لقد زحفت إليه قبائل المغرب، واقتتلوا عدة مرات، كان له فيها الظفر، وصارت إليه أموالهم، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة[٣] .

---

[١] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٦ .

[٢] – إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ-١٤٨٨م، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص١٠٣-١٠٤ . ويصرح إدريس هنا بقيامه بالنقل عن النعمان مباشرة .

[٣] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٨ .

وينفرد النعمان بتعداد أسماء القبائل التي انقادت لأبي عبد الله الشيعي، وهي (جميع غشمان، وملوسه، ولهيصة، وإجانة، ولطاية، ومساراته[1]) .

وينضم إدريس للنعمان في ذكر جعل الداعي من تازروت دار هجرة له، وفي ذكر انضمام قبيلتا عجيسة وزوارة إلى الدعوة بعد أن تمّ للجيش الشيعي فتح حصن وشنوك من أمير المسالته فتح بن يحيى[2] .

ويضيف النعمان اسم قبيلة كتامة مجرس أيضاً[3]، ثم يقول أنه لم يبق أحد لم يدخل في الدعوة سوى أهل المدن، ومن انضم إليهم من القبائل الذين ارتبطوا معهم بمصالح[4] .

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١١٧-١١٩ . وهي جميعها قبائل كتامية .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١١٩ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٠٦ .

[3] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٢٠ .

[4] – المصدر نفسه، ص١٢٢ .

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن التفاصيل الدقيقة التي يوردها النعمان في كتابه والتي ينفرد بها عن كل المصادر التي كتبت عن تأسيس الخلافة الفاطمية، إنما يعود لعدة أسباب، أولها أن كتابة رسالة الافتتاح موظف بشكل كلي للحديث عن أعمال وأحداث تأسيس الخلافة الفاطمية، ثانياً نضيف إلى ذلك قرب النعمان الزمني من الأحداث مما يتيح له تذكر أدق التفاصيل، وإيراد كل ما يتعلق بها من أخبار وأسماء أشخاص وقبائل كان لها دور في الأحداث، ثالثاً القرب المكاني من مكان وقوع الأحداث فالنعمان مغربي الأصل، كما أتاح له اتصاله بخدمة الخليفة الفاطمي الأول عبد الله المهدي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م، الإطلاع على وثائق الدولة الفاطمية والاستفادة منها، لهذا جاء كتابه موسعاً دقيقاً .

وبينما يفرد إدريس حوالي صفحتين لذكر سياسة أبي عبد الله الدينية والسياسية في كتامة، من إقامة للحدود، وتطبيق للشرائع، ونشر للاستقرار والأمن في إيكجان وتازورت[1]، نرى القاضي يسهب جداً في شرح ذلك بحوالي عشرة صفحات، أظهر فيها كثيراً من المدح للداعي والأولياء، وبالغ في وصف شدة إيمانهم،

---

[1] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٧ .

وقال أن الداعي جعل الإيمان معيار الرجال الذين لم يفرق بينهم في تطبيق الحدود القاسية حتى تجافى عن قبائح العيوب عامة الناس، خوفاً ورغبةً وتقيةً ورهبةً، ونشر بذلك الأمن والاستقرار، وكان مثلاً في زهده وتنسكه حتى عمّ زهده في الحياة بين الناس، فصغرت الدنيا في عيوهم،واعتمرت بالإيمان صدورهم، ونذروا للدعوة مالهم وأنفسهم، فضربوا في التعاون والتكاتف مثلاً عجيباً، وفي الشجاعة والتفاني أسلوباً غريباً[1] . ولم يذكر المقريزي أي شيء حول هذا .

ونرى أن القاضي النعمان هنا قد سقط في فخ انتمائه المذهبي سقوطاً كاملاً، فاندفع في وصف مجتمع البربر عند قيام الدعوة وانتشارها بصفات مثالية جداً تذكرنا بصفات مجتمع المدينة الفاضلة عند أفلاطون، أو بالمجتمع الذي تنشده النظريات الشيوعية الماركسية،حيث الناس سواسية أمام القانون، وحيث الشخص يعمل بكل طاقته ولا يأخذ من عمله إلا ما يسد رمقه ويترك الباقي لإخوانه في المجتمع الذي سقطت عن أفراده كل شهوة في سلطة أو تملك، وتوجهت كل طموحاهم نحو إعلاء اسم دعوهم وبناء دولتهم .

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٢٢-١٣٤ .

وهذه الصفات نراها طوباوية بعض الشيء رغم علمنا بما قد يكون للدعوة في أولها من أثركبير في النفوس، ولكن لايلبث هذا الإشراق الهائل في العادة أن يخف رويداً رويداً، وهذا ماكان فعلاً للدعوة الفاطمية.

ونرى النعمان قد طهر نفوس الأولياء من كل الصفات الإنسانية الغريزية، فجعلهم نظيفون من الحقد ومن الشهوات، زاهدين في الدنيا ومتاعها، نازرين متاعهم وأنفسهم للدعوة وإعلاء نجمها.

وإذا رجعنا للتاريخ، نرى أن كل الحركات قد جهدت لرسم مثل هذه الصورة لمجتمعها وللمؤيدين لها، وقد عمد الكتاب الإنتمائيون إلى وصف كبير دعوتهم ورأسهم بصفات تشبه الصفات التي يسبغها النعمان على الداعي أبي عبد الله الشيعي، الذي نزر نفسه للدعوة، وزهد في الدنيا، ورفض التمتع بالمال الذي وضع بين يديه، وأنفق من ماله الخاص، وهذه الصورة المشرقة جداً لا يرسمها إلا شخص يحركه انتماء عاطفي وشعور بضرورة المدح والثناء تمليه ضرورة رسم السلف بصورة الأبطال الأماجد، المثاليون، المتفانون في سبيل دينهم وطاعة زعيمهم ليكونوا قدوة للأجيال اللاحقة، وكـــان

هذا أيضاً واضحـــاً في فكر كتاب الصحابة وسيرة الخلفاء الراشدين الذين تركزت رواياتهم على فضائل الأحداث والأعمال، وأغفلت ذكر الخطأ والزلل .

وتتفق مصادرنا على أن فتح ميله،كان بعد هذا الوقت الذي استقام لأبي عبد الله فيه أمر كتامة فسار إلى ميله، وحاصرها، ثم استطاع فتحها بمساعدة الحسن بن أحمد بن أبي خترير الذي أطلعه على نقاط ضعف المدينة، ثم استسلم صاحبها موسى بن عياش، وسلم القلعة، فأمنه الداعي، وأوصى به خيراً، وقتل المنافقين[1].

وتذكر مصادرنا أن إبراهيم الثاني أمير إفريقية، قد أرسل جيوشه بقيادة أبنه أبي حوال[2] لقتال الداعي، وبينما يتكلم النعمان وإدريس عن أن قيام إبراهيم بن الأغلب،كان بسبب إبراهيم بن موسى بن عياش الذي فر إلى إفريقية، وحرض الأغلبي حتى أرسل

---

[1] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٠٨-١٠٩ .
– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٣٤-١٣٦.
– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٩ .

[2] – ورد الاسم عند المقريزي " الأحول"، ص٧٩ .

الجيوش بقيادة ولده[1]، نجد أن المقريزي يغفل الحديث عن هذا، بل نراه يعتبر أن الأغلبي قام من نفسه لماسمع بخبر الداعي في ميله[2]وكلام المقريزي مستبعد بسبب أن إبراهيم الثاني الأغلبي كان قد رفض عدة مرات لقتال الداعي، وخاصة بعدما رأى فشل كل قبائل المغرب أمامه في تازروت، بل رفض تحريض أمـــير المسالته فتح بن يحيى له للقيام ضد الداعي[3]، وبالتالي نؤكد على دور ابن أمير ميله في تشجيع إبراهيم الثاني، وتسهيل أمر الداعي أمامه، ووعده بمساندة القبائل لجيوشه حتى قام .

وتتفق المصادر الثلاثة على أن تعداد جيوش أبي حوالي إثنا عشر ألف فارس إضافة لِمَ انضم إليه من بنوعسلوجة، وتميم وغيرها، ثم التقى بأبي عبد الله في تازروت، حيث هزم أصحاب أبي عبد الله وكثر القتل في أصحابه، وتبعه أبي حوال حتى جاء ثلج عظيم فحال

---

[1] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١١٠ .
– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٣٦ .
[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٧٩ .
[3] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١١٩-١٢٠ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٠٥ .

بينهم، فعاد الداعي إلى تازورت[1]، ثم تركها خالية وعاد إلى إيكجان، ودخل أبو حوال إلى تازروت، فأحرقها، كما أحرق بعدها ميله[2]، وبينما لاتذكر كلاً من المقريزي وإدريس تاريخ هذه الأحداث، يقول النعمان أنها سنة تسع وثمانون ومائتين[3] للهجرة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م .

وبعد ذلك تراجع أبي حوال تحت ضربات الأولياء، بعد مقتل أبي العباس إبراهيم ابن صاحب ميله وعاد لإفريقية .

ويفصل النعمان وإدريس الحديث بعد ذلك عن موت الحسن بن هارون زعيم بني غشمان، وتثبيت الداعي أقدامه بإيكجان، حيث بنى فيه قصراً، وجعله دار هجرة للمؤمنين، وفرق فيه الدعاة إلى القبائل حتى أتته بموت إبراهيم الثاني الأغلبي، ثم قتل

---

[1] – لا يذكر المقريزي شيء عن عودة الداعي إلى تازروت .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق،ص١٣٧-١٣٨ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١١٠-١١٣ .
– المقريزي، المصدر السابق، ص٧٩ .

[3] – النعمان رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٣٧ .

ابنه عبد الله أبو العبـــاس[1]، وتولية زيادة الله الثالث بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب الذي انهمك باللهو واللعب، فبشر الداعي الأولياء بهذه الأخبار أخيراً، وبينما يتحدث كل من النعمان وإدريـــس عن حملة ثانية لأبي حوال على إيكجان هزم فيها[2]، نجد أن المقريزي لا يذكر شيئاً عن حملة ثانية لأبي حوال[3] .

وبعد هذا وبينما يتوقف النعمان والمقريزي عن ذكر أخبار أبي عبد الله الشيعي في المغرب، ليذكروا هجرة عبد الله المهدي ومسيرته من سلمية حتى وصوله إلى سجلماسه[4]، نجد إدريس يؤجل ذكر هجرة عبد الله المهدي من سلمية حتى يكمل حديثه عن حروب الداعي الشيعي في المغرب ضد زيادة الله الأغلبي، حتى تمكن

---

[1] – هو ابن العباس عبد الله الثاني بن إبراهيم الأغلبي الثاني، ٢٩٠-٢٩١هـ/ ٩٠٢-٩٠٣م .

[2]– النعمان رسالة افتتاح الدعوة ، المصدر السابق، ص١٤٩-,١٥٤ .

[3]– المقريزي اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، المصدر السابق، ص٧٩ .

[4]– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٤٩- ١٥٤ .

– المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، المصدر السابق، ص٨١-٨٤ .

من إسقاط دولة الأغالبة بعد معركة الأربس[1]، وبينما يعود النعمان لذكر معارك الداعي في المغرب (هذه المعارك التي لا ينقطع إدريس عن ذكرها) نجد أن المقريزي يغفل ذكرها نهائياً، بل يتابع حديث عن مسيرة المهدي حتى إعلانه الخلافة الفاطمية، ولكنه لا يغفل أثناء ذلك عن ذكر حروب الداعي مع ابن عم زيادة الله " إبراهيم بن الأغلب" ومعركة الأربس .

وهكذا نلاحظ توقف إدريس عن النقل عن النعمان والتزامه بخطة عمل شخصية في مؤلفه، بينما نجد المقريزي يتبع النعمان خطوة بخطوة، رغم تصرفه الكبير بالنقولات، وهذا يعزز كلامنا بأن الداعي قد اعتمد على أكثر من مصدر للنقل عنه، وليس عن النعمان فقط، وعندما نقل لم يكن ببغائياً في نقولاته، بل أخضعها للتدقيق وللتمحيص على عكس ما يفعل المقريزي على الأغلب .

ونحن نتيجة للخطة التي وضعناها،نجد أنفسنا ميالين للمتابعة حسب ما أتى عند إدريس عن أعمال الداعي في المغرب أولاً، ثم الانتقال إلى الحديث عن هجرة المهدي ومسيرته، حتى إعلان الخلافة الفاطمية، ملاحقين ورود هذه الأخبار عند النعمان، ومقارنينها بمثلها

---

[1] – ادريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١١٥-١٤٠ .

عند إدريس، ومقتنعين بأن هذه الخطة أسلم للشرح وأوضح للأفكار وللمنهجية .

فبعد أن علم الداعي انغماس زيادة الله باللهو، سار بعسكره، وضرب الحصار على مدينة سطيف[1]، التي كان على بن حفص" ابن عسلوجة" أميراً عليها حتى أتم فتحها بعد أن مات ابن عسلوجة، وطلب داوود بن حبيسة اللهيصي الأمان له ولسطيف على أن يسلم البلد، فكان له ذلك، وانضم للأولياء، وعاد إلى إيكجان معهم[2].

وتجمع المصادر الثلاثة على ذكر تجهيز زيادة الله بعد ذلك لجيش كبير قوامه أربعين ألفاً بين فارس وراجل، وتعيينت إبراهيم بن حبشي[3] قائداً لهذا الجيش، الذي سار حتى استقر في القسطنطينة[4]ستة أشهر، حيث انضمت إليه قوات مدينة

---

[1] – مدينة في الجزائر حالياً، تقع على بعد ٤٤ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من بجاية الساحلية .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٥٤– ١٥٦ .
– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١١٥-١١٦ .

[3] – يذكر المقريزي اسمه" إبراهيم بن حبش "، المرجع السابق، ص٨٤ .

[4] – هي قسطنية أو قسنطينة، كما يطلق عليها اليوم . أنظر ص ، حاشية رقم

طبنة[1]، وقوات القبائل المعادية للداعي، حتى صـــار تعداد الجـــيش حسب النعمان نحو المائة ألف فارس وراجل[2]، ثم تقـــدم إبراهـــيم إلى كبونة[3]، وأخرج الداعي خيلاً، ولما رآها إبراهيم قـــصد إليهـــا بنفسه، والأثقال على ظهور الدواب فدارت الدائرة علـــى جيـــشه بقدوم جيش الداعي فجأة، وانهزم إبراهيم بن حبشي إلى القيروان و لم ينجو من جيشه إلا القليل .

وعظم أمـــر الداعي، وزاد ذلك في استقرار دولته، وأرسل إلى الإمام المهدي بالخبر وهو آنذاك بسجن سجلماسة[4]، ويضيف

---

[1] – لا يذكر المقريزي هذا، وطبنة هي مدينة قديمة زائلة، كانت من أكبر مدن الزاب في الجزائر، تقع خرائبها شرقي شط الحضنة .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٥٨ .

– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١١٧ .

[3] – و لم أستطع تحديد موقعها، وهي على الأرجـــح موقـــع منـــدرس غـــير معروف .

[4] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٥٦-١٥٩ .

– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق،ص١١٦-١١٨ .

– المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفـــا، المـــصدر الـــسابق، ص٨٤-٨٥ .

المقريزي : (وسير الكتاب مع بعض ثقاته، فدخل عليه السجن في زيّ قصّاب يبيع اللحم، فاجتمع به وعرّفه ذلك)[1] .

ويشترك النعمان مع إدريس في تعداد فتوح الداعي واحدة بعد أخرى، فبعد أن تم له فتح ميله وسطيف كما قلنا، قام بحصار مدينة طبنة ثم فتحها، ثم فتحح يلزمة[2] بعد حصار دام ثلاث سنين حتى انقطع الطعام عن أهلها فأعلنوا استسلامهم، وذكر المصدرين وقعة دار ملوك[3]، التي كان النصر بها لعسكر الداعي على جيش ابن الأغلب بقيادة هارون بن الطبني، وكذلك تم للداعي استسلام حصن يتجس[4] من عساكر الأغلبي دون قتال[5] .

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٥ .

[2] – تقع بين شط الطرف شرقاً وسط الحضنة غرباً قريباً من مدينة بتنة الحالية في ببلاد الجريد الجزائرية .

[3] – تقع على طريق باغاية وهذه تقع على يسار الطريق انطلاقاً من خنشلة نحو العين البيضاء شرقي شط الطرف في شرق الجزائر .

[4] – مدينة قديمة بالجزائر، غير بعيدة عن مدينة بونة سابقا أو عنابة حالياً الواقعة على الشاطئ الشرقي للجزائر .

[5] – انظر التفصيل عند النعمان، ص١٦٠-١٧٠ .

ونجد أن المقريزي يغفل ذكر كل هذه الفتوح ويكتفي بالقول ونازل أبو عبد الله عدة مدائن فأخذها بالسيف[1] .

ويقول إدريس أن زيادة الله عندما علم ماكان مـــن أمـــر الداعي في طبنة وغيرها، جهز جيش عظيم تسلم هو قيادته، وســـار إلى مدينة الأربس[2] في أول سنة خمس وتسعون ومائتين للـــهجرة[3] ٢٩٥/٩٠٧م، ويشير المقربزي لذلك باختصار[4]، كما يذكر النعمان ذلك ودون خلاف مع إدريس، ولكنه يورد في كتابه قبـــل ذلـــك رسالتين وجههما زيادة الله إلى جميع بلدان ونواحي إفريقية، وأمر أن تقرآن على المنابر ليهتدي بهما الناس، ويصغر بهما شأن أبي عبد الله الداعي، ويعتبره كافر استغل جهل قبائل البربر بأمور الدين فأغواها، وجعل زيادة الله الرسالة الأولى عن لسانه، والثانية عن لسان الخليفة العباسي في بغداد، وهو آنذاك المكتفي [٢٨٩-٢٩٥هـــــ/٩٠٢-

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٥ .
– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١١٨-١٢٠ .

[2] – قال عنها ياقوت الحموي، هي مدينة كورة بإفريقية، وكورتها واســـعة، وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب .

[3] – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢١-١٢٢ .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار، المصدر السابق، ص٨٦ .

٩٠٨م] وهي مليئة بالوعظ والإرشاد، وتصف أبي عبد الله بعدو الله الخارجي، وتثني على زيادة الله وعلى جهوده في دحر الكفر، وتدعو الناس لإجابة دعوة زيادة الله، والنهوض معه ضد الداعي، ويقـــول النعمان أن الرسالة الثانية مزورة عن لسان خليفة المــسلمين وهـــي ليست منه[1] .

نحن هنا لا نستطيع الإقتناع بسهولة تزوير زيادة الله لكتاب الخليفة، رغم عدم استبعاد ذلك نهائياً، ولكن على الأرجح أن الخليفة المكتفي قد أرسل مثل هذا الكتاب فعلاً ليقرأ على المنابر، خاصة بعدما كانت قد فشلت السلطات العباسية في القبض على الإمام عبد الله المهدي، الذي سار من سلمية ضمن أراضي بلاد الشام عبر مصر حتى وصل لسلجماسة في المغرب الأقصى، فكان هذا أقل ما يفعله الخليفة العباسي ضمن متابعة محاولاته للقضاء على حركة هذه الدعوة التي رأى فيها كل الخطر على الخلافة العباسية واستمرارها، ولا نستطيع أن نقررسبب إسقاط إدريس لهاتين الرسالتين من مؤلفه "عيون الأخبار" سوى الرغبة في الإختصار وعدم الإطالة .

---

[1] - انظر النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٧٠-١٧٨ .

وإجمالاً فقدكان لهذه الرسائل، كما يقول النعمان مفعـــول عكسي، فقد ذكرت الناس بمساوئ زيادة الله وأفعاله وملة دينه من قتله لأبيه وأخيه حتى سكره، وانغماسه باللهو، ويقول النعمان، وهذا ما أثار زيادة الله وأجبره على الخروج بنفسه لقتال الداعي، فنصحته حاشيته بعدم التصدي للداعي بنفسه، لما في ذلك تغرير وسوء عاقبة، فعين حسب ما يذكره النعمان وإدريس ابن عمه إبـــراهيم بـــن أبي الأغلب على رأس الجيش، بينما انصرف هو من الأربس إلى عاصمته رقـــادة[١] تاركاً الأمور بيد ابن عمه[٢] .

وبعد ذلك كاتب أهل مدينة باغاية الداعي، أن أقدم إلينا نسلمك المدينة بتوسط بعض الأولـــياء فيها، فكان ذلك في وقت انغمـــس فيه زيـــادة الله باللهوواللعب[٣]، ولا يذكر المقريزي ذلك.

---

[١] - هي عاصمة الأمراء الأغالبة في إفريقية ، بناها إبراهيم بن الأغلب ســـنة ٢٦٣هـــ/٨٧٩م، وانتقل إليها من مدينة القصر القديم، وهي اليوم بلدة في تونس من ولاية القيروان، ج٣، ص٥٥ .

[٢] - انظر النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٨٠ .

- إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢٣ .

[٣] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٨١-١٨٥ .

- إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢٣-١٢٤ .

ويتابع كلاً من النعمان وإدريس رصد وقائع الداعي الذي أخذ مجانة[1]، عنوة بعد أن قتل عاملها خفاجة العبسي والي زيادة الله عليها[2]، ثم يذكر النعمان أن الداعي أخذ "بنغاش"[3] صلحاً مع أهلها بعد أن هرب عاملها إلى الأربس، ودخل "قالمة"[4]، بعد أن استأمن أهلها ثم اضطر جنوده لإخلائها تحت ضغط قوات إبراهيم بن أبي الأغلب[5]، ولا يذكر إدريس هذا .

---

[1] – بين باغاية والقيروان على مرحلة من مدينة مسكيانة .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ١٨٥–١٨٧ .
– إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ–١٤٨٨م، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص١٢٥ .

[3] – مدينة قديمة في شمال شرق الجزائر تقع على بعد ٥٥ ميلاً إلى الجنوب من بونة، وقال ياقوت الحموي أنها مدينة أزلية بإفريقية شامخة البناء ، ج٢، ص٦٦ .

[4] – مدينة في شمال شرق الجزائر تقع على بعد ٣٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من مدينة بونة الساحلية .

[5] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٨٨–١٩١ .

ثم دخل الداعي "مسكيانة"[1]، و "تبسه"[2]، وخرج منها إلى ميدرة[3]، حيث جرت بها هفوة، كما يذكر المصدرين، حين أمن بعض العسكر أهلها، ولما فتحت أبوابها قام بعض العسكر الآخر بقتل أهلها، وانتهى بها، فكان هذا خطأ كبير، عاقب الداعي مرتكبوه، ورد ما قدر عليه من الحقوق[4] .

ثم وصل أبو عبد الله الداعي إلى القصرين[5]، فسار إبراهيم بن أبي الأغلب إلى دار مدين[1] مخافة قيام الداعي إلى

---

(1) – هي بلدة في شرق الجزائر تقع على بعد ٩٤ ميلا إلى الجنوب الشرقي من العين البيضاء (وصف افريقيا، ص٨٨) .

(2) – تقع جنوب باغاية وشمال غرب قفصة، قال ياقوت الحموي ، بلد مشهور من أرض إفريقية، وهو بلد قديم به آثار الملوك وقد خرب الآن أكثرها .

(3) – تقع على بعد خمسين ميلاً من الشمال الشرقي من تبسة، تعرف اليوم باسم حيدرة في غرب تونس .

(4) – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧ .
– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة العبيدية، المصدر السابق، ص١٩١-١٩٢ .

(5) – مدينة في غرب تونس تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة تبسة إلى الشمال من قفصة . وصف أفريقيا، ص٦٧-٦٨ .

رقادة حيث زيادة الله، ودارت في دار مدين معركة خرج الطرفان منها وهما قاب قوسين أو أدنى من النصر، حيث انصرفوا بعد أن حجر بينهما الليل[2] .

ومن كل ما ذكر نجد أن المقريزي يكتفي بالقول أن أبو عبد الله أخذ مجانة، وتيفاش، ومسكيانة، وتبسة، وسار إلى إبراهيم، فقتل عدداً من أصحابه وعاد إلى إيكجان[3]، وفي ذلك إشارة لموقعة دار مدين على ما يبدو .

---

[1] – تقع بين القصرين وسبيطلة .

[2] – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢٨ .

– النعمان، رسالة افتتاح الدعـــوة، المصدر السابق، ص١٩٣ .

[3] – المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـــ/١٤٤١م، اتعـــاظ الحنفـــا بأخبار الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط١، ١٣٦٧هـــ/١٩٤٧م، ص٦٨ .

ثم عاد ابن أبي الأغلب إلى الأربس، وبعد ذلك ثم هزم أمام بني ورديم حلفاء الدعوة في قالمة، وأرسل الداعي، فعاقب بني ماجن الهراريين لمداهنتهم لإبراهيم بن أبي الأغلب[١] .

والمقريزي لا يذكر ذلك، ولا يذكر افتتاح الداعي أبي عبد الله لقسطيلية[٢]، وقفصة[٣]اللتان استسلمتا له من دون قتال يذكر، ثم عاد إلى إيكجان، وترك أبا مكدوك في باغاية مع خمسمائة فارس، مما أطمع إبراهيم بن أبي الأغلب بها، وحاول استرجاعها فأنجدها

---

[١] – إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص١٢٨-١٢٩ .

– النعمان رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٩٥-١٩٦ .

[٢] – مدينة في بلاد الجريد في تونس تقع على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب الغربي من قفصة .

[٣] – مدينة قديمة كبيرة في تونس، واليوم مركز ولاية قفصة، قال الحموي : بينها وبين القيروان ثلاثة أيام، ج٤،ص٣٨٢ .

الداعي بعسكر عليهم أبو مديني اللهيصي[1]، وفشل ابن أبي الأغلب في مرماه وعاد للأربس[2] .

ويذكر النعمان وإدريس أن الداعي قد تلقى من المهدي المسجون في سجلماسة[3] رسائل وكتب حملها في القفل رسله الذين أرسلهم للمهدي بالأموال، وبخبر نصره في كبونة على إبراهيم بن حبشي قائد زيادة الله، وقد جهد الرسل في إيصالها للداعي حتى قتلوا دونها، ونجا منهم فرد أخبر الأولياء بمكان حفظها حتى وصلت للداعي[4] .

---

(1) – من أسماء الرجال الذين اعتاد النعمان ذكرهم دون التعريف بهم وذلك بسبب قربه الزمني منهم ومعرفة الناس لهم فلا يشعر بضرورة التعريف بهم .

(2) – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢٨-١٢٩ .
– النعمان بن محمد ت٣٦٣هـ/٩٧٣م، رسالة افتتاح الدعوة العبيدية، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠، ص١٩٨-١٩٩ .

(3) – هي مدينة قديمة في جنوب المغرب عاصمة بلاد تافيلالت سابقاً، على حدود الصحراء، قال ياقوت الحموي بينها وبين فاس عشرة أيام، وكانت محطة للنخاسة ولتجارة الذهب والعاج والأبنوس والجلود، وقد زارها ابن بطوطة وقال أنها من أجمل البلدان .

(4) – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٢٩ .

ومن هنا تنضم مصادرنا الثلاثة (النعمان، إدريس،المقريزي) لتسير في خط واحد في ذكر الأحداث، فتتفق في الأغلب حتى تتوحد فاتحة رواياتها الثلاثة بعبارة واحدة هي (لما دخل فصل الربيع وطاب الزمان جمع أبو عبد الله عساكره وسار من إيكجان في أول جمادى الآخر من سنة ست وتسعين ومائتين ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م،) يريد بن أبي الأغلب بالأربس، وبينما تذكر المصادر الثلاثة تعداد جيش الداعي الذي بلغ مائتي ألف فارس وراجل، تغفل جميعها تعداد جيش الأغلبي، وتقول فاجتمع بالأربس من العساكر مالا يحصى عدده إلا الله، ولا ندري سبب عدم ذكر ذلك، وربما للإشارة إلى أنه ضخم وعصي على العدّ، وأرى أنه لو ذكر النعمان تعداده لكان قد ذكره إدريس والمقريزي ، وهذا ما يؤكد أهمية كتاب النعمان كمصدر أساسي لما قد كتب بعده .

وكان بين الطرفين قتال دامي،كانت الجولة الأخيرة فيه لجيش الداعي، وهرب أصحاب الأغلبي متفرقين في الأرجاء واتبعهم الأولياء بكل ناحية يقتلونهم ويأسرونهم ويغنمون ما معهم حتى كان اليوم التالي وهو الأحد فدخل الداعي الأربس بالقوة، وأعمل الأولياء

- النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٩٧-١٩٨ .

السيوف في الرقاب (ويحدد إدريس ذلك في ٢٤ جمادى الثانية سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م)[١] .

ولما علم زيادة الله بذلك، سار أهله وخدمه من يومه بما استطاع به النقلة من متاع ومال وترك رقادة عرضة للنهب، وقصد طرابلس[٢] و لم يستمع لنصائح مقدمه ابن الصانع بعدم الرحيل والبقاء و لم شمل القوات والتصدي للداعي الشيعي .

أما إبراهيم بن أبي الأغلب الذي هزم في الأربس، فإنه انتهى إلى القيروان، وحيث نادى بالأمان، وجمع الناس، وطلب منهم طاعته والاعتراف بإمرته عليهم، ومساعدته بالأنفس والمال لصد الجيش الشيعي، لكنه لقي منهم الرفض، فهرب من المدينة بعد أن سبوه ورجموه[٣] .

---

[١] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٣٢ .

[٢] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٢٣ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٣٣ .

[٣] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٠٩-٢١١ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق،ص١٣٥ .
– المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار، المصدر السابق، ص٨٧ .

وعندما علم الداعي بأمرخروج زيادة الله من عاصمته رقادة، سار يريدها، وأوفد فرسانه قبله إليها، فأمنوا مـــن فيهـــا وســـكنوا جانبها، حتى عندما علم شيوخ القيروان بذلك، ساروا لتلقي أبي عبد الله الداعي وتهنئته بالفتح، فأمنهم وأقبل عليهم بوجهه، ورد علـــيهم بأحسن الرد حتى دخلوا رقادة، فأذن لهم في الإنصراف فانـــصرفوا، وكان دخول الداعي إلى رقادة يوم السبت غرة رجب سنة ســـت وتسعين ومائتين[1] .

ويذكر النعمان[2] نص كتاب أمان كتبه الداعي الشيعي، وأمر بقراءته على منابر البلدان حتى يسكن أهلها وتطمئن نفوسهم وتهدأ روعتهم، ولا يذكر إدريس والمقريزي أي إشارة لهذا .

وبعد إعلان الأمان لكل الناس، صير العساكر لضرب الذعار وأهل الفساد، فعاد الناس إلى بيوتهم، ومنع شرب الخمور، وعين العمال والولاة، وأمر بجمع أموال ومتاع وعبيد وجواري زيادة

---

[1] - إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٣٧-١٣٨ .
- النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص٢١٣-٢١٤ .
- المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٧ .

[2] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص٢١٩-٢٢٠ .

الله وأحسن للجميع[1]، وعين محمد بن عمر المروزي، فكان أول قاضي شيعي على القيروان[2]، ويضيف النعمان، ثم جعله قاضي القضاة وربط به تولية القضاة والحكام بسائر البلدان[3].

فلماكان يوم الجمعة، أمر الخطباء بالقيروان ورقادة فخطبوا، أمر فقط بالثناء على محمد (ص) وآل البيت، كما ضرب السكة ولم ينقش فيها اسماً لأحد، وجعل مكان الأسماء على وجه " بلغت حجة الله " وعلى الظهر " تفرق أعداء الله " ويضيف النعمان على المقريزي انه ضرب سكة ثانية، جعل فيها مكان ذلك " الحمد لله رب العالمين " ونقش على السلاح عدة في سبيل الله، ووسم الخيل " الملك لله " وعلى الخاتم الذي يطبع به كتبه " وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم " وظل هو على سيرته الأولى في الزهد ولبس الخشن واقتدى به أتباعه[4] .

---

[1] - المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٧-٨٨ .

[2] - إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٤٠ .

[3] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢١٥ .

[4] - النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢١٨،١١٢ .
- إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٣٨-١٣٩ .
- المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٧-٨٨ .

وهنا لا بد من القول أن إدريس قد أخر وقدم في بعض فصول الكتاب، عما هو موجود في الرسالة عند النعمان، ففي حين يؤخر النعمان حديثه عن أخبار زيادة بعد خروجه من رقادة حتى هلاكه إلى بعد انتهاء الحديث عن إجراءات الداعي الشيعي بعد دخوله رقادة، نرى إدريس يستعجل ذكر أخبار زيادة الله، ويقحمها بين فصول حديثه، ويتحدث عن وفاته في القدس بعد تركه لمصر قبل حديثه عن دخول الداعي إلى رقادة .

أما المقريزي فإنه يغفل الحديث عن نهاية الأغلبي بينما يتفق النعمان وإدريس أن موت زيادة الله كان في بيت المقدس في بلاد الشام، بعد أن سار إليها من طرابلس[1]. وبذلك انتهى ملك بني الأغلب في إفريقية، واستقرت الأمور للداعي، وبات إعلان الخلافة قريباً مرهوناً بإطلاق الإمام عبد الله المهدي من سجن اليسع بن مدرار في سجلماسة التي كان المهدي قد وصل إليها بعد رحلته الطويلة التي سارها منطلقاً من سلمية في وسط بلاد الشام .

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٢٤-٢٣١ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٣٧ .

الفصل الثاني

عبد الله المهدي ومسيرته
من السلمية حتى سجلماسة

وتفصيل ذلك أن الإمام عبد الله المهدي[1] خرج من سلمية بنفسه ومعه ابنه الإمام القائم من بعد وهو يومئذ غلام حديث

---

[1] – يشير الهمذاني إلى أن عبد الله المهدي، هو سعيد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان، أو هو ابن إمرأة للحسين كانت زوجة حداد يهودي، وله منها سعيد، فلما تزوجت حسين، تبنى ابنها ورباه وفقهه، وهو الذي هاجر من سلمية إلى سجلماسة، وتلقب بعبيد الله المهدي، (أخبار القرامطة، ص ١٧٦-١٧٨ ، وانظر ما قاله النويري في نفس الكتاب، ص ٣٠٤، ٣١٤، وما قاله المقريزي فيما نقله عن كتاب الفهرست لابن النديم، ص ٢٩-٣١)، وكل ذلك يمثل رأي السنة العباسيون خاصة وعملهم على الطعن بالنسب الإسماعيلي الفاطمي .

و لم تتفق مصادر الشيعة حول السلسلة الحقيقية لنسب المهدي، فقد قيل هو عبد الله ابن الإمام محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وقال آخرون هو عبد الله أخو الإمام محمد المهدي، وكان إماماً مستودعاً لابن أخيه القائم، وتسمى باسم أخيه، فصار عبد الله المهدي، وهاجر من سلمية، وقد سلم الأمر للقائم عندما حضرته النقلة بعد قيام الخلافة الفاطمية، وقيل هو محمد بن حسين بن التقي محمد بن الوفي أحمد بن محمد بن إسماعيل، وقيل غير ذلك، وانظر كتاب التراتيب في" أخبار القرامطة "، ص ١٣٨-١٣٩. واسم أب المهدي عند النيسابوري هو الحسين بن أحمد، واسم العم سعيد الخير وهو الكفيل المستودع، انظر أخبار القرامطة، ص١١٦. ويقول إدريس سعيد

السن، وسار من سلمية[1] حتى أتى حمص، وتتفق أغلب المصادر على ذلك، ولأنني رأيت أنها تختلف في ذكر السبب المباشر لقيام المهدي بهجرته من سلمية في ذلك الوقت بالتحديد .

فقي حين بغفل النعمان ذكرالسبب بوضوح عمداً، ويكتفي بالقول (قام المهدي بالإمامة من بعده عليه السلام، واشتهر ذكره، وفشا خبره، ودلت عليه آياته، وتبين للناس علاقته، وخان المهـــدي بني العباس على نفسه، وكانت له في ذلك أخبار يطول شــــرحها وذكرها، كما وعده الإمام من قبـــل به، فخرج بنفسه وبالإمام ابنه القائم من بعده)[2]، وقد حذى المقريزي نفس الحذو أيضاً[1] .

الخير كفل المهدي لما توفى أباه سنة ٢٦٨هــــ/٨٨١م، ص١٤٣-١٤٤ . أما النعمان فلا يذكر شيء عن نسب المهدي ويعتبره أمراً مسلماً به .

وإجمالاً أن مسألة النسب الفاطمي مسألة عويصة، ولكن الأبحـــاث الحديثة إجمالاً تميل للتسليم بصحة ومصداقية هذا النسب، حـــتى أن ابـــن خلدون سابقاً أقر بصحته، وكذلك فعل المقريزي في الإتعاظ، انظر ما قاله د. الشيال في حواشي التحقيق، ص٤١-٤٢ .

[1] - حول سلمية أنظر إلى ص٨، حاشية رقم ١ .

[2] - النعمان بن محمد ت٣٦٣هــ/٩٧٣م، رسالة افتتاح الدعوة العبيدية، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠، ص١٤٩ .

بينما نرى إبراهيم بن أحمد النيسابوري صـــاحب كتـــاب استتار الإمام، يقول أن سبب خروج الإمام من سلمية هو ما وصل إليه من أخبار تفيد بأن أولاد أبومحمد داعي الكوفـــة، وهـــم أبـــو القاسم، وأبو مهزول، وأبو العباس، قد غضبوا لعدم تولية المهدي لهم دعاة في الكوفة بعد أبيهم المتوفي، فخرجوا عن الدعوة، وانـــضموا لمذهب القرامطة، وتحالقفوا وتعاقدوا على أن ينحدروا إلى ســـلمية، فيشهروا أمر المهدي، ويفشون خبره ثم يقتلونه وأهله، وعندما علـــم الإمام بذلك أمر بالرحيل من فوره، فأخذ معه أبا القاســـم ولـــده وجعفر الحاجب وابن بركة لا غير وترك القصر كما هو بما فيه[٢] .

ويضيف إدريس نقلاً عن جعفر الحاجب سبباً آخر لخروج الإمام من سلمية، هو أنه قد ولي سلمية غلام تركي فأحـــسن إليـــه الإمام تقية منه، ولما شك الغلام بأمر هذا الإحسان، سأل عن سببه،

---

[١] – المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـ/١٤٤١م، اتعـــاظ الحنفـــا بأخبار الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ص٨١ .

[٢] – أخبار القرامطة، ص١١٧-١١٨ .

فقال له بعض من كان يحسد الإمام، هذا فعلهم مع كل من يلي البلد حتى يردوهم خولاً وعبيداً، وأنه يرمي بأمر عظيم، ويقال أنه يملك المشرق والمغرب، فزاد طمع الغلام حتى ضاق صدر الإمام، فكتب لأعوانه في بغداد بعزله، فعزل، ولما علم الغلام بذلك، رفع ما قيل له عن الإمام إلى الخليفة المعتضد [٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م] وسأله أن يرده للقبض عليه، ووافق ذلك خروج القرمطي أبي مهزول، ويؤكد إدريس أن سنة ترك المهدي سلمية هي ٢٨٦هـ/٨٩٩م[1]، ويتفق كل من إدريس والنيسابوري في ذكر خبر دخول أولاد أبو محمد الداعي إلى سلمية، ولكن إدريس يفصل في ذلك الشرح، ويقول أن الذي دخلها من أولاد أبي محمد هو أبو مهزول فقط، حيث انتهب قصر الإمام فيه، وقتل كل من كان به من أهل بيت الإمام وخدمه[2] .

---

[1] - إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ-١٤٨٨م، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص ١٤٤-١٤٥ .

[2] - انظر أخبار القرامطة، ص١١٩ .

- إدريس ، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٤٦

وهكذا نجد أن رواية إدريس، أكمل وأوضح لنا، وأقنع، وهي تكمل سد الفراغ في الصورة التي قدمها لنا النعمان والمقريزي، ولا بد من تذكر ما في حقيقة الأمر من علاقة بين النشاط القرمطي في المشرق، وبين التسريع في هجرة الإمام المهدي من السلمية، وقد أوردت كل المصادر العربية المتنوعة الخبر عن نشاطات أبي مهزول القرمطية، وعن دخوله للسلمية .

وبالتالي تكتسب رواية إدريس والنيسابوري أهميـــة خاصة في إبراز حقيقة لا بد منها لاكتمال الصورة التاريخية في أذهاننا، ولا ندري سبب إغفال النعمـــان خاصة لذكر أوضاع سلمية قبل وبعد خروج الإمام منها حتى أن اسمها لا يرد في كتابه ولا مرة .

ونزداد اقتناعاً بروايتي النيسابوري وإدريس، حين يذكر أن أبي مهزول هو الذي حدد علامات الإمام المهدي بدقة لبني العباس، وفشا لهم ذكره، وعرّفهم أن داعي اليمن وداعي المغرب يدعوان له، وذلك عندما ألقى القبض عليه[1]، ولا ننسى دور الغـــلام التركـــي أيضاً .

---

[1] – انظر إدريس،كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٤٧ .

ولا بد هنـــا من القول أن عبد الله الــمهدي، كانت قد تناهت إليه إخبار بعض انتصارات داعيه أبي عبد الله الشيعي في المغرب، وهذا ما يبرر اختيار المهدي طريق مصر للهجرة،بينما ترك اليمن رغم أنه كان بها داعية ابن حوشب مستعداً لاستقباله أجمل استقبال.

وبينما يغفل النعمان والمقريزي ذكر الطريق الذي سلكه المهدي في بلاد الشام حتى صار إلى مصر، نرى إدريس والنيسابوري يذكرانه بشيء من الاختلاف، ففي حين يحدد إدريـــس خط سيره بسلمية – دمشق – الرملة[١] – ثم أرض مصر[٢]، نرى النيسابوري يحدد خط السير بسلمية – حمص- طرابلس الشام – الرملة التي يقيم فيها أكثر من سنة[٣].

وعند الملاحظة نرى حمص محطة لا بد منها للوصـــول إلى دمشق، ولكن لا داعي في نفس الوقت للاتجـــاه مـــن حمـــص إلى

– أخبار القرامطة، ص١٣١ .

[١] – بلدة في فلسطين شمال شرق القدس .

[٢] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٤٨-١٥٠ .

[٣] – أخبار القرامطة، ص١١٨-١١٩ .

طرابلس ثم إلى الرملة، وفي هذا خروج عن الطريق المعروف الــذي كانت تسلكه القوافل التجارية والتجار للوصول إلى مصر، فقد كان الخط التجاري آنذاك، والذي هو جزء من طريق الحرير، يسير مــن بغداد إلى الرقة فالرصافة حتى يصل عن طريــق باديــة الــشام إلى السلمية ومنها إلى حمص فدمشق ثم الرملة فالعريش من أرض مــصر دون المرور بطرابلس الشام، وأنا أرجح أن هذا هو الطريــق الــذي سلكه الإمام المهدي، ويقول النيسابوري (أن الإمام كان قد خرج مع تجار بغداد)[1]، حيث أنه جهد في مسيره لأن يكــون لــه زي التجار وعمل على الإبتعاد عن سلوك الطرق التي لم تعتــاد مــرور الغرباء منها، فسار على الطرق التي اعتادت مرور التجــار كــي لا يلفت النظر، ويسهل بذلك التعرف عليه، وهذا هو أيضاً طريق تجار بغداد .

وظل المهدي قائماً في الرملة حتى بلغ من أمر القرمطي أبي مهزول ما كان، فرحل إلى مصر هرباً من رسل العباسيين، وهنا تتفق الروايات في المصادر الأربعة بعد قطع النعمان والمقريزي لذكر خبر المهدي في بلاد الشام .

---

[1] - أخبار القرامطة، ص١٣١.

يقول المقريزي[1] فلما انتهى إلى مصر أقام مستتراً بزي التجار، ويضيف النعمان[2] أنه أراد أن يقصد اليمن، لكنه لما علم من فساد أمر اليمن على يد داعيين فيروز وعلي بن الفضل[3] المرتدان كره الدخول لليمن على هذه الحالة، واتصل به شأن أبي عبد الله، وما فتح الله عليه في المغرب، ولما أخبره بعض دعاته بوصول كتب من بغداد إلى عامل مصر عيسى بن النوشرى[4] بصفة المهدي وأمراً بالقبض عليه، رحل المهدي من فوره إلى طرابلس الغرب ومعه أبو العباس أخ الداعي أبو عبد الله الشيعي بزي التجار، ولما وصلوا إلى

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨١ .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٤٩ .

[3] – فيروز هو داعي إسماعيلي سار مع المهدي حتى مصر وتخلف عنه فيهـا، وسار إلى اليمن حيث أغوى على بن الفضل الذي كان قد دخل اليمن مع ابن حوشب، حتى خرجا على الدعوة علناً، وبدلوا فيها ودعوا النـاس إلى نكرانها، فحاربهما ابن حوشب، فقتل فيروز، وظل على بن الفضل حـتى سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، حيث قتل مسموماً بعد حروب طويلة له مع ابن حوشب منصور اليمن، الذي لم يلبث بعده كثيراً حتى مات أيضاً .

[4] – هو عيسى بن مخلد النوشري ولي أصبهان سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م، ثم ولي فارس سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م، ثم مصر ٢٩٢هـ/٩٠٤م، وتـوفي فيهـا ٢٩٧عـ/٩٠٩م .

طرابلس وصلت كتب زيادة الله إلى عاملها بالقبض عليه، وكان للمهدي على العامل خيرٌ ومعروف، فكتب العامل بأنه خرج من عمله ونفذ إلى ناحية قسطيلية، وذلك في وقت كان فيه أبو العباس قد ترك المهدي وسار إلى القيروان فوقع بيد زيادة الله بوشاية به إليه وقرر فأنكر، وقال إنما أنا رجل تاجر، ويضيف المقريزي أنه قال : " وأصبحت رجلاً في القفل "، فحبس وبلغ الخبر عبد الله المهدي فسار إلى قسطيلية ومنها انطلق نحو سجلماسة، و لم يقصد أبا عبد الله، ولما بلغ من خبر أبي العباس، فخاف إن قصد إلى الداعي أن يتحقق شك زيادة الله به فيقتله[١] .

وسارالمهدي بزي التجار، حتى وصل إلى سجلماسة[٢]، وكان اليسع بن مدرار[١] والياً عليها فتقرب إليه المهدي وأهداه،

---

[١] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٥٠-١٥٣ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٥٠-١٥٢ .
– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٣-٨٤ .
– أخبار القرامطة، ص١٣١ .

[٢] – حول سجلماسة، أنظر ص٦٤، حاشية رقم٣ .

وأخفى عنه أمره، وظل اليسع يعظم الإمام حتى أتى إليه كتاب زيادة الله يخبره بأمره ويحرضه عليه، فغير ذلك منه عليه، وأمر بسجنه، وتتفق المصادر الثلاثة على ذلك[2]، ولا يذكر النيسابوري عن أمر اليسع شيئاً، بل يقول أن المهدي جلس في سجلماسة حتى أتى الداعي فخرج منها مع ولده ومرافقيه[3] .

ولما استقرت الأمور لأبي عبد الله الداعي في رقادة، سار منها بجيوش عظيمة قاصداً تحرير المهدي من سجلماسة، واستخلف على إفريقية أبا زاكي تمام من معارك وترك معه أخاه أبا العباس محمد بن زكريا على حسب قول النعمان وإدريس وأغلب المصادر، بينما يقول المقريزي فقط أنه خلف أبو العباس لوحده[4]، وكان زيادة الله قد

---

(1) – هو من حكام سجلماسة، من آل مدرار الذين حكموا المدينة قرابة قرنين من الزمن ١٥٥-٣٥٢هـ/٧٧٢-٩٦٣ وحكمها اليسع خلال ٢٧٠-٢٩٦هـ/٨٨٣-٩٠٩ .

(2) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٤ .

– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٥٣-١٥٤ .

– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٥٣ .

(3) – أخبار القرامطة، ص١٣١ .

(4) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٩ .

أطلق سراحه، فسار إلى رقادة فوراً، وكان خروج الداعي حسب مصادرنا الثلاثة في شهر رمضان سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة، ٢٩٦هـ/٩٠٩م، ويذكر النعمان نص كتاب طويل كتبه الداعي وأمر بقراءته على المنابر، و لم تذكره المصادر الأخرى، وقد حمد فيه الداعي الله وشكره على ما منّ به من نصر وإظهار حق آل البيت، ومنى الناس بعهدهم بالخير والعدل والبركة[١] .

ولما اقترب الداعي من سجلماسة، وانتهى لأمر إلى اليسع بن مدرار، أنه يقصده، أرسل إلى المهدي سأله عن نسبه وحاله وعن علاقته بأبي عبد الله الداعي، فاعترف له المهدي بنسبه و لم يكتمه، ولكن بنفس الوقت أصر على أنه تاجر لا يعرف الداعي الشيعي مطلقاً، حسب النعمان وإدريس، بينما يقول المقريزي أن المهدي لم يعترف بشيء مطلقاً[٢]، ولما لم يجد اليسع حيلة، أمر بحبس المهدي وولده القائم كلاً بدار لوحده، وألقى من كانوا معهما في السجن، وضربهم فلم يقروا بشيء، ولما بلغ ذلك الداعي، أرسل إلى اليسع يتلطف به، ويظهر أنه لم يقصده لحرب وإنما لحاجة، ووعد

---

[١] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٣٢–٢٣٥ .

[٢] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٩ .

بالجميل من نفسه وبالبر والإكرام، حسب ما يـــرد عنـــد النعمـــان والمقريزي، بينما يقول إدريس أنه أرسل له كتاب يسكن به ذعـــره، ويدعوه للدخول في دعوة المهدي، الذي يعتبر نزوله إلى بلده من نعم الله تعالى أن عرف قدرها، وأدى إلى الله شكرها، ونجـــا وســـعد في نفسه وأهله وماله وجميع من في بلده .

لكن اليسع غضب وقتل رسل الداعي، ولما عاودوه بآخرين قتلهم ثانية[1]، ويقول النعمان فعاودوه ثالثة، وأصر وتمادى في غيـــه[2]، و لم يذكر المقريزي وإدريس هذه الثالثة، أسقط في يد الـــداعي، عبأ عساكره، ودنا من المدينة، فخرج إليه اليسع، فوقع بينهم قتـــال ساعة، وكان ذلك قرب المساء، فحال بينـــهما الظـــلام، ويقـــول المقريزي، وقاتله يومه كله[3]، فلما جن الليل هرب ابن مدرار، وأهل بيته في بني عمه، و لم يعلم الداعي بهروبه وبات بمن معه في هم عظيم خوفاً على المهدي أن يصيبه مكروه، حتى أصبحوا، فخـــرج إلـــيهم

---

[1] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٥٨ .

– المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٨٩-٩٠ .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٣٨ .

[3] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٩٠ .

وجوه أهل المدينة، فأعلموهم بذلك، ودخلوا معهم إلى المكان الذي فيه المهدي، فاستخرجوه، ويضيف النعمان، واستخرجوا معه ابنه القائم، ويقول المقريزي (فأخرجوه وأخرجوا ابنه في يوم الأحد لسبع خلون من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة، ٢٩٦هـ/٩٠٩م[1] .

[1] – المقريزي، المصدر نفسه، ص٩٠ .

الفصل الثالث

مسيرة عبد الله المهدي وأبو عبد الله الشيعي

من سجلماسة حتى رقادة وإعلان

الخلافة الفاطمية فيها

وبعد أن تمّ إخراج الإمام وابنه ومن معهم من سجن اليسع بن مدرار، وسرّ الناس سروراً عظيماً، أركبهما الداعي، ومشى هو ورؤساء القبائل بين أيديهما، وهويقول للناس (هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون، ويحمد الله عز وجل ويشكره ويبكي من شدة فرحه) .

وضرب الداعي للمهدي مضرباً كبيراً،حيث اجتمع بالمؤمنين الذين حفوا به، يسمعون قوله ويبكون، ويحمدون الله على ما أنعم الله عليهم برؤية المهدي، ثم قبض على اليسع بن مدرار، فضرب بالسياط[1]، وقتل حسب النعمان والمقريزي، أما إدريس فيقول (سئل القائم عليه السلام المهدي عليه السلام أن يهب له اليسع ففعل، وعفا

---

[1] – النعمان بن محمد ت٣٦٣هـ/٩٧٣م، رسالة افتتاح الدعوة العبيدية، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠، ص٢٤٠،٢٣١ .
– إدريس عماد الدين ت ٨٧٢هـ-١٤٨٨م، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥، ص١٥٨-١٦٠ .
– المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ٨٤٥هـ/١٤٤١م، اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط١، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م، ص٨٩-٩١ .

عنه، وحمل مع العساكر المنصورة، فلم يأكل، و لم يشرب، و لم يكلم أحد حتى مات[1].

يذكر النعمان وإدريس نص رسالة وجهها الداعي إلى أهل إفريقية، يبشرهم فيها بظهور الإمام المهدي، ويخبرهم بقصة فتح سجلماسة، ويقرب قدوم المهدي إليهم، ولا يختلف النصان في شيء[2].

وأقام المهدي في سجلماسة أربعين يوماً ثم نهض بالعساكر يريد إفريقية، ويذكر الهمذاني أن المهدي لما أراد الرحيل من سجلماسة إلى القيروان في أرض إفريقية، دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله الداعي لإخراج رحله، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومة، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلاد البربر، وسألوا أبا عبد الله الشيعي الداعي عن ذلك ... فقال لهم أبو عبد الله هذه الآثار لأصحابه وأتباعه وكان معه أتباع كثر[3] .

---

[1] – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٦٢ .

[2] – إدريس، المصدر نفسه، ص١٦٣-١٦٤ -١٦٥.

– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٤١-٢٤٤ .

[3] – أخبار القرامطة، ص١٧٨-١٧٩ .

لقد أورد الهمذاني هذا ليقلل من شأن المهدي، ويظهره منغمساً في ملذات الدنيا، ولكن يبدو أن الهمذاني قد نسي قبل كل شيء ماكان من أمر المهدي وأصحابه في سجلماسة عند اليسع بعدما علم حقيقته، كما أسلفنا من سجن وسيطرة على متاعه وماله، مما يجعل توفر ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب مع المهدي بعد فك أسره أمراً غريباً بعدما شارف على القتل، وإن كانت هذه الأشياء هي التي نجت المهدي من الوقوع في أسر العمال في مصر وقسطلية وغيرها ... .

وتختلف المصادر بعض الشيء في خط سير المهدي، فبينما يقول النعمان أن المهدي سار حتى حاذى بلد كتامة، فمال إليه ووصل إلى إيكجان، وأمر بإحضار الأموال التي كانت على أيدي الدعاة والمشايخ، وكانوا قد دفنوها هناك، فأحضروها إليه، فحملها أحمالاً، ثم سار حتى وصل رقادة[1] .

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص١٤٦ .

نرى إدريس يقول أن المهدي قبل دخوله في أرض كتامـــة، قد توقف في تاهرت[1]، ولاحق أحمد بن حرز الزئاني، الذي كـــان قد دخل إلى تاهرت، واختطف منها ما قدر عليه حتى نال منـــه، ثم رحل المهدي من تاهرت حتى نزل في تأمقلت[2]، وهي مدينة كانت لا تدين بالطاعة، ففتحها ووضع السيف في الرقـــاب ثم تركهـــا ... وحين صار عليه السلام بإزاء بلد كتامة، مال إليها، وقـــبض فيهـــا الأموال المخزونة عند الكتاميين[3] .

ولا يذكر المقريزي شيئاً عن مسيرة المهدي من سجلماسة إلى رقادة سوى خبر قبض المهدي للأموال المخزونة عند الكتاميين، ويقول أيضاً أن المهدي قد دخل رقادة في العشر الأخير من ربيع الآخرسنة سبع وتسعين ومائتين[4]، وهذا التاريخ غير محدد بدقة، بينما يحدده النعمان وإدريس بدقة أكبر، فيقول الأول : وصل المهدي

---

[1] – مدينةجزائرية قديمة، تبعد عن جنوب شرق وهران ٢٢٠كم، أسس فيها بني رستم دولة خارجية أباضية من سنة ١٤٤-٢٩٤هـ/٧٦١-٩٠٦م، وسقطت تحت ضربات الداعي الشيعي .

[2] – هي مدينة قديمة قرب تاهرت .

[3] – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٦٦ .

[4] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٩١ .

في يوم الخميس لعشرين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين[1]، ويقول الثاني لأحدى عشرة ليلة بقين من شهر ربيع الآخر من سنة سبع وتسعين ومائتين ٢٩٧هـ/٩١٠م[2]، فالفرق بين التاريخين يوم واحد فقط .

ويتفق إدريس والنعمان فقط على ذكر نص رسالة أمر المهدي الداعي أن يكتبها إلى أبو زاكي، يخبره بوصوله القريب لرقادة[3] .

وقبل وصول الإمام عبد الله المهدي إلى رقادة، خرج أهل القيروان لاستقباله في موكب عظيم مهيب حتى دخلها .

وفي اليوم الثاني، كتب الإمام المهدي كتابين، الأول به دعاء له أمر بقراءته على المنابر بعد الصلاة على النبي وعلى جميع آل البيت الأطهار. والثاني : هو عبارة عن إعلان سياسي ديني، أعلن فيه أنه (عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين)، ودعا لطاعته،

---

[1] – النعمان، رسالة إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٤٨ .

[2] – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٧٠ .

[3] – النعمان، رسالة إفتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص ٢٤٧ .

– إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٦٧ .

والعمل لنصرته، وحمد الله كثيراً على نصره وفتحه، وطلب منه العون والمدد، ووعد الناس خيراً وفلاحاً في دينهم ودنياهم .

فقرأ هذا السجل ودعي لأمير المؤمنين المهدي بالخلافة يوم الجمعة لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ومائتين في رقادة والقيروان والقصر القديم[1] معاً، (ولا يذكر المقريزي تاريخ إعلان الخلافة الفاطمية) وجميع البلدان[2] فاستبشر الناس بذلك، وسرهم، وأكثروا من الدعاء له، ونقشت السكة باسمه، وجاءت وفود البلدان من كل جهة ومكان، وواصل الجلوس للناس، ورفعت شكاياتهم إليه، وأزال المظالم، وأمر بإقامة الحدود .

وبعد هذا الإتفاق التقريبي لمصادرنا الثلاثة (النعمان وإدريس والمقريزي) يظهر لأول مرة خلاف شديد وحاد بين المقريزي من طرف والآخرين من طرف آخر، حيث يذكر المقريزي أنه بعد صلاة الجمعة، جلس رجل يعرف بالشريف ومعه الدعاة،

---

[1] – هي مدينة يقع على بعد أربعة أميال جنوب القيروان، أول من أسسها إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م، وجعلها دار إمارة له .

[2] – إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٧١-١٧٣ .

– النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٤٩-٢٥٣ .

وأحضروا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم، وقتل مـــن لم يوافـــق[1] أو أغلب من لم يوافق .

ونرى في هذا القول الكثير من المغالاة، فمن غير الممكـــن منطقياً قتل كل من لا يدين بالمذهب الشيعي الإسمـــاعيلي في أرض المغرب أو حتى نصف من لايؤمن من رجال القبائل المغربية المتميـــزة بضخامتها عربية كانت أم بربرية .

كما أنه من غير الممكن أن يستفتح المهدي عهد خلافتـــه، وبداية دولته بإراقة الدماء هدراً دون حساب قد يثير عليه موجة من الشك والتكذيب، وخاصة أنه قد وعد عند إعلانه الخلافة بغير ذلك كما أسلفنا، كما أن نشر المذهب بحد السيف بهذا الشكل لم يكـــن قائماً في البرنامج السياسي والديني الذي أعده أبو عبيد الله الـــداعي لنشر المذهب، حتى أننا رأيناه قد أعطى الأمان لكل من طلبـــه مـــن القبائل أو المدن دون أن يشترط على أهلها الدخول في الـــدعوة أو حتى دفع الجزية وعاقب عساكره الذين نقضوا هـــذا الأمان،كمـــا حدث في مدينة ميدرة .

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق، ص٩٢ .

وكان من البشائر التي بشر بها الداعي الشيعي عند قدوم المهدي، هي نشر العدل، ورفع الظلم، والخوف، حتى قال في رسالته لأهل إفريقية قبل خروجه لسجلماسة، فاسكنوا إلى ذلك واطمئنوا إليه، وكونوا على إحياء الحق أنصاراً، وعلى إماتة الباطل أعواناً، فإني أرجو من الله أن يبلغني إظهار العدل، وإحياء الحق إلى نهاية يشرب بها الذئب والشاة من منهل واحد، ويجتمع العدو مع عدوه في مترل رضياً بالحق، واصطلاحاً عليه[1].

صحيح أن هذا الكلام كان مليئاً بالحرارة الثورية وحمأتها واندفاعها، والأيام اللاحقة قد أثبتت ذلك، ولكن مخالفته بشكل سريع ومباشر من قبل رجل الدولة والعقيدة الأولى، وفي وقت لا تزال حرارة الثورة والعمل الثوري تعتمر في نفوس رجال القبائل المغربية، يعد ضربة قاسية للدولة المولودة حديثاً وطعناً لكل مبادئها وشعاراتها التي جمعت قلوب المظلومين والمؤمنين والراغبين بنجاة وفلاح أفضل في الدين والدنيا، ولا أظن أن الإمام عبد الله المهدي وداعيته الذي جمع كل قبائل المغرب حوله وأزال ملك بني الأغلب من إفريقية، وملك بني رستم من تاهرت، هما من الغباء بحيث يقدما

---

[1] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٣٥ .

على مثل هذا، بل نرى أن الإمام المهدي يقوم بإكرام من بقي من بني الأغلب ورجالهم وأتباعهم... وكان وجوههم وأكابرهم يدخلون فيمن يدخل إليه إذا جلس فيقربهم ويدنيهم ويؤنسهم ويحسن إليهم[1]، ولو كان قد قتل من لم يدخل في مذهبه لكان هؤلاء أولى بالقتل من غيرهم .

وهكذا فبعد أن أقام المهدي الحدود، وقرب زعماء كتامة إليه، وقسم عليهم أعمال إفريقية، وأسبغ عليهم العطاء، ودوّن الدواوين، وأمر باقتضاء واجب الأموال، ونشر العدل وأقامه، وكان يباشر سماع المظالم بنفسه، فمالت إليه قلوب الخاصة والعامة، وعظم في عيونهم وقلوبهم[2].

---

[1] – النعمان، المصدر نفسه، ص٢٥٨ .
– إدريس، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، من كتاب عيون الأخبار، ص١٧٧ .

[2] – النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص٢٥٤-٢٥٨ .
– إدريس، عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٧٦-١٧٨ .

والى هنا تنتهي روايات النعمان عن تأسيس الدولة الفاطمية، حيث يبدأ بعد ذلك بذكر خبر مقتل الداعي أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس محمد بن زكريا[1].

ولكن نرى أن المقريزي وإدريس قبل أن يقفلا حديثهما ويبدآن بذكر خبر قتل الداعي، نراهما يوردان روايات عن أحداث التأسيس، جرت عقب إعلان الخلافة الفاطمية، يزيدان بها على روايات النعمان، حيث يتحدث إدريس عن عدة حملات عسكرية، قادها الداعي لضرب القبائل التي ثارت في المغرب عقب إعلان قيام الخلافة الفاطمية، ففي طينة ثار ابن حرز الزناتي، وانضمت إليه قبائل كثيرة، وثار آخرون في مدن بوسفانه ومليلة ومدهنة وصارة، وفي تاهرت ومدينة تنس[2] ووادي مدغر والخضراء[3]، وقد كان في

---

[1] – كل ذلك سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م، وتختلف المصادر حول سبب ذلك، وعلى الأرجح خوفاً من مؤامرة دبراها مع آخرون مثل أبي زاكي لقتل المهدي .

[2] – مدينة على البحر بين وهران غرباً والجزائر العاصمة شرقاً .

[3] – وادي مدغر والخضراء، موضعان قرب تنس .

كل هذا لأبو عبد الله الداعي النصرة والغلبة، فسكنت الأمور، وانصلح الجمهور، وصلحت أحوال تلك البلاد[1] .

ويضيف المقريزي بأن الإمام المهدي، قد عين الحسن بن أحمد بن أبي خترير والياً على صقلية، ويقول إدريس (وقلورية والأرض الكبيرة)[2]. فوصل إليها في العاشر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين، وأساء السيرة في أهلها، فثاروا به وأخذوه وحبسوه وكتبوا إلى المهدي بذلك، واعتذروا فقبل اعتذارهم، واستعمل عليهم علي بن عمر البلوي، فوصل آخر ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين[3]، ويقول إدريس : فوصل إليها، وأقام فيها ثم ثار عليه أهل صقلية فخرج عنهم[4] .

وبعد أن أتم المهدي تنظيم أمور دولته، وهو في مدينة رقادة، شرع في بناء مدينة جديدة على البحر جنوب شرقي القيروان، سماها

---

(1) – إدريس، ص١٧٨–١٨٠ .

(2) – مصطلح يعني السواحل الشمالية للبحر الأبيض المتوسط بالمعنى الواسع، ويعني جنوب إيطاليا بالمعنى الصحيح .

(3) – المقريزي، اتعاظ الحنفا، المصدر السابق،ص٩٣ .

(4) – إدريس، كتاب عيون الأخبار، المصدر السابق، ص١٨٠ .

المهدية تيمناً بلقبه، وجعلها عاصمة الخلافة الجديدة، فظلت كذلك حتى تمّ لخلفائه فتح مصر ٣٥٨هـ/٩٦٩م، وبناء مدينة القاهرة التي نقلت لها قواعد الخلافة ومؤسساتها، فصارت عاصمتها وأهم مدنها .

الخاتمة

وهكذا فقد كان إعلان قيام الخلافة الفاطمية ثمرة لجهود طويلة وكبيرة من العمل الدعوي السري ثم العلني الدعوي والعسكري، الذي باشره الدعاة ثم الأئمة في أرض المغرب العربي كافة، وخاصة الداعي أبو عبد الله الشيعي، الذي كان تأسيس الدولة والخلافة الفاطمية على أكتافه.

وآمل أن أكون قد وصلت لرسم صورة منطقية لأحداث التأسيس، كما حدثت، من خلال ما أسعفتني به المصادر الأربعة التي اعتمدت عليها في ذلك، هذه المصادر التي وجدت أن الخلاف لم يكن بينها كبيراً، بشأن رواية الأحداث ومواضعها وزمان ومكان وقوعها، حتى لتبدوا رغم الفروق والخلافات القليلة التي أشرت إليها في موضعها خلال البحث، كأنها تتحدث من خلال وجهة نظر منطقية نسبياً، فرضت نفسها على الجميع، وأرجح أن وجهة النظر هذه هي للقاضي النعمان الظاهرة في كتابه رسالة افتتاح الدعوة، التي كانت قطعاً هي المصدر الوحيد والأول الذي نقلت عنه كل

الكتابات اللاحقة، أكانت شيعية أم سنية، وخاصة إذا علمنا أن النعمان يعتبر من أقدم المصادر التي تحدثت عن تأسيس الدولة الفاطمية، حيث أنه قد أنهى كتابه سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م، بينما كانت وفاة المقريزي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م، ووفاة إدريس سنة ٨٧٢هـ/١٤٨٨م .

ويزيد على القرب الزماني من الأحداث القرب المكاني والفكري والمذهبي من الدولة الفاطمية، ليجعل من الرسالة النعمان هي المصدر الرئيسي لما تلاها على أغلب الظن .

كما أن إيقاف النعمان كتابة الحديث عن تأسيس الخلافة الفاطمية فقط، جعل الكتاب مختصاً بشكل كبير، مما سمح له بالإسهاب بإيراد روايات الأحداث بالتفصيل، ومن دون حرج من إطاله، بعكس كتاب إدريس " العيون "، الذي خصص لذكر كل شيء عن تاريخ الدعوة الإسماعيلية وأئمتها من زمن الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، حتى زمن مؤلفه في القرن التاسع الهجري، وكذلك كان كتاب المقريزي مقرراً للحديث عن أخبار الخلافة الفاطمية من قيامها حتى سقوطها، وكل هذا أثر في عدم توظيف إدريس والمقريزي الجهد والمساحة الكبيرة للحديث عن أحداث

التأسيس، وبالتالي أتى حديثهم رغم التزامهم بما أورده النعمان حديثاً مختصراً فيه قدركبير من التصرف بروايات النعمان .

لكن إدريس زاد أحياناً على ما أورده النعمان في شرح بعض الأحداث وإظهار أسبابها، وذلك كونه اعتمد على أكثر من مصدر للنقل عنه، رغم التزامه الظاهر بالقالب العام لروايات النعمان .

بينما المقريزي الذي نقل عن ابن الأثير الناقل بدوره، كما أثبتنا عن النعمان فلم يزد شيئاً، بل وجه كل جهده على كيفية إخراج الروايات مختزلة لأقصى الحدود، وواضحة قدر الإمكان، وقد وفق في ذلك لحد ما، رغم إحساسنا عند قراءة الإتعاظ بسعيه الدائم نحو الاختصار .

وإجمالاً فقد كانت تأسيس الدولة الفاطمية، إيذاناً بإعلان قيام ثالث خلافة في العالم الإسلامي آنذاك بعد خلافة العباسيين في بغداد، والأمويين في قرطبة، حيث لم تلبث هذه الخلافة حتى تمكنت من فتح مصر زمن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م، على يد قائده جوهر الصقلي الذي بنى مدينة القاهرة، وجعلها مركزاً للخلافة الجديدة، كما بنى بنفس الوقت الجامع الأزهر الذي ما يزال رغم سقوط الخلافة الفاطمية سنة

٥٦٧هـ/١١٧٠م، مركز إشعاع ديني وحضاري يفتخر العلمـــاء بالانتساب إليه .

الملاحق

الملحق الأول:

أسماء الأئمة الفاطميين في دور الستر قبل تأسيس الدولة الفاطمية[1]

[1] - كنا قد أشرنا سابقاً إلى أن مسألة النسب الفاطمي قد أثارت في الماضي جدلاً كبيراً فاضت به كتب المؤرخين السنة والشيعة معاً، وعلى الرغم أن كبار هؤلاء المؤرخين أمثال ابن خلدون والمقريزي، قد أقرا بصحة هذا النسب، فإن ذلك لم يعني انتهاء القول فيه، فما يزال البعض يرغب في المناطحة والجدال في هذه المسألة التي ما عاد بحثها أصلاً يقدم أو يؤخر في الأمر شيئاً .

علي بن أبي طالب[1]	- ٤٠هـ/٦٠٤-٦٦٠م
الحسين بن علي[2]	٤-٦١هـ/٦٢٥-٦٨٠م
علي بن الحسين[3]	٣٨-٩٤هـ/٦٥٨-١٢م
محمد الباقر[1]	٧٥-١١٧هـ/٦٩٤-٧٣٥م

وأظن أن ذلك ينطبق على الكثير من المسائل التاريخية الأخرى التي كانت موضع الخلاف في زمانها لسبب أو آخر .

وسوف أحاول سرد أسماء الأئمة الفاطميين في دور الستر معتمداً بذلك على أرجح الآراء التي اتفق عليها أغلب المنصفين، ويلاحظ أننا لا نملك عن بعض هؤلاء الأئمة الكثير من المعلومات، وذلك كما قلنا بسبب التستر والتقية التي أحاط هؤلاء الأئمة أنفسهم بهذا الدور خوفاً من بطش الخلفاء العباسيين، وسوف أحاول ذكر تاريخ ميلاد ووفاة هؤلاء الأئمة .

[1] - هو ابن عم الرسول (ص) وربيبه وصهره على ابنته فاطمة الزهراء، وهو رابع الخلفاء الراشدين، تميز بسعة العلم وقوة الشخصية، ويتفق على عبقريته كل العلماء القدماء والمحدثون، وقد قتل على يد أحد الرجال الخوارج، ويدعى ابن ملجم، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة .

[2] - هو ابن الإمام علي كرم الله وجهه من زوجته فاطمة بنت الرسول (ص)، قتل في كربلاء من أرض العراق على يد زياد بن أبيه والي الخليفة يزيد بن معاوية بعد أن انفض عنه مناصروه .

[3] - لقب بعلي زين العابدين، وعرف بسعة العلم، ومدحه الفرزدق بقصيدة مشهورة .

جعفر الصادق[2]	٨٧-١٤٨هـ/٧٠٥-٧٦٥م
إسماعيل بن جعفر الصادق[3]	؟
محمد بن إسماعيل	١٣٢-١٩٣هـ/٧٥٠-٨٠٨م
الوفي أحمد[4]	١٧٩-٢١٢هـ/٧٩٥-٨٢٧م

---

(١) – هو ابن علي بن الحسين ويرجح أنه لقب بالباقر لضلوعه بالعلم .

(٢) – هو ابن محمد الباقر قد عرف بعلمه الواسع، اضطلاعه العميق، فكره السياسة وفضل الإشتغال بالدين، انقسمت الدعوة من بعده إلى قسمين رئيسيين، الأول الإسماعيليون وهم الذين قالوا بإمامة إسماعيل الأبن الأكبر للإمام جعفر الصادق، وعلى أيدي هؤلاء تأسست الخلافة الفاطمية، والقسم الثاني الموسوية وهم الذين قالوا بإمامة أخ إسماعيل موسى الكاظم، ولقبوا لاحقاً بالاثني عشرية، بسبب توقفهم عند إمامهم الثاني عشر، وهو محمد المهدي حسن العسكري، وقد صارت الإثنا عشرية مذهب الدولة في إيران منذ عهد الصفويين، وهو كذلك الآن .

(٣) – يعتبر عهده بداية لدور الستر الأول في الدعوة الفاطمية، والذي دعا إليه الخوف من بطش الخلفاء العباسيين الذين جدوا في ملاحقة االشيعة خوفاً منهم على سلطاهم، وقال بعض المؤرخون أن إسماعيل مات بحياة أبيه، ولا يوجد على ذلك دليل قطعي .

(٤) – تولى الإمامة بعد أبيه، وارتحل من مدينة محمود آباد مسقط رأسه إلى مدينة السلمية، فجعلها مقراً للدعوة، ويرجح أنه قد تم في عهده وضع رسائل إخوان الصفا المشهورة .

التقي محمد	١٩٨هـ- ؟/٨١٣م- ؟
عبد الله الرضي[1]	٢١٢-٢٨٩هـ/٨٢٧-٩٠١م
عبد الله المهدي[2]	٢٥٩-٣٢٢هـ/٨٧٢-٩٣٤م

---

(1) - ورث والده في إمامة الدعوة، فزاد في تنظيمها وقوة تجنيد دعاتها، وتوفي في السلمية ولا يزال قبره فيها يعرف لدى العامة بضريح الإمام إسماعيل ويعلو هذا الضريح قبة ضخمة .

(2) - وهو مؤسس الخلافة الفاطمية، وأول خلفائها، ويعتبر عهده نهاية لدور الستر الأول الذي بدأ منذ عهد الإمام إسماعيل، وكان أول إمام يجمع بيده السلطتين والدينية والزمنية .

الملحق الثاني :

أسماء الأئمة أو الخلفاء الفاطميين بعد تأسيس الخلافة حتى سقوطها[1]

عبد الله المهدي	٢٩٧-٣٢٢هـ/٩٠٩-٩٣٤م
القائم بأمر الله	٣٢٢-٣٣٤هـ/٩٣٤-٩٤٥م
المنصور	٣٣٤-٣٤١هـ/٩٤٥-٩٥٣م
المعز لدين الله	٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٣-٩٧٥م
العزيز بالله	٣٦٥-٣٨٦هـ/٩٧٥-٩٩٦م
الحاكم بأمر الله[2]	٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢١م

[1] - سوف نقوم بذكر اسم الإمام أو الخليفة متبوعاً بتاريخ بداية استلامه للحكم ثم تاريخ وفاته .

[2] - وقد مات بظروف غامضة فانشق من بعده بعض حاشيته، ولم يعترفوا بوفاته، وقالوا بغيبته، مما يخالف عقائد الدعوة الإسماعيلية، فسموا الدروز الذين شكلوا فرقة دينية، ما يزال أتباعها ينتشرون في لبنان وجنوب سوريا .

الظاهر	٤١١-٤٢٧هـ/١٠٢١-١٠٣٦م
المستنصر بالله[1]	٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م
المستعلي بالله	٤٨٧-٤٩٥هـ/١٠٩٤-١١٠١م
الآمر بأحكام الله	٤٩٥-٥٢٥هـ/١١٠١-١١٣٠م
الحافظ لدين الله	٥٢٥-٥٤٤هـ/١١٣٠-١١٤٩م
الظافر بأمر الله	٥٤٤-٥٤٩هـ/١١٤٩-١١٥٤م
الفائز بنصر الله	٥٤٩-٥٥٥هـ/١١٥٤-١١٦٠م
العاضد لدين الله	٥٥٥-٥٦٧هـ/١١٦٠-١١٧١م

[1] - بلغت الخلافة الفاطمية في عهده أقصى اتساعها، وأقصى امتداد لنفوذها الديني والزمني، حيث شملت الحجاز واليمن وبغداد بعد أن تمكن داعي دعاتها " البساسيري " من إسقاط الخلافة العباسية لمدة عام واحد سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م، وينتهي بعهده حمل الأئمة الإسماعيليون للسلطتين الدينية والزمنية، حيث ينقسم الفاطميون بعده إلى فرقتين، المستعليون الذين قالوا بإمامة المستعلي ابن المستنصر، وظلوا خلفاءً على الدولة الفاطمية حتى سقوطها، وسموا بعد ذلك بالبهرة، ولا يزالون منتشرين في الهند والباكستان، أما التراريون فقد قالوا بإمامة نزار ابن الخليفة المستنصر فأجبروا على ترك القاهرة، فهربوا إلى الإسكندرية ومنها إلى قلعة آلموت في شمال غرب إيران .

المصادر

١- الداعي إدريس عماد الدين [ت ٨٧٢هـ-١٤٨٨م]، تـــاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، طبع دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنـــان، ط١، ١٩٨٥ .

٢- عدد من المصنفين، أخبار القرامطة في الإحساء والشام والعراق واليمن، جمع وتحقيق د. سهيل زكار، طبع دار حسان، د.م، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨١ .

٣- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي [٨٤٥هـ/١٤٤١م]، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع ونشر دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م .

٤- القاضي النعمان بن محمد[ت٣٦٣هـ/٩٧٣م]، رسالة افتتـــاح الدعوة العبيدية، تحقيق وداد القاضي، طبع دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠ .